

رعبان الليل

تأليف الداعية الإسلامي

محمد عبد الملك الزغبي



مكتبة الإيمان
المنصورة - أمير جامعة الأزهر
ت : ٣٥٧٨٨٢

رہبان اللیل

تألیف الداعیة الإسلامی

محمد عبد الملک الزغبی

مکتبۃ الإیمان المنصورة

حقوق الطبع محفوظة

١٤١٨ - ١٩٩٧

الطبعة الأولى

مكتبة الإيمان بالمنصورة

أمام جامعة الأزهر

تليفون: ٣٥٧٨٨٢

مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، وننوب إليه ونستغفره ، ونحوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سينات أعمالنا ، مَن يَهْدِي اللَّهُ فَلَا مُضِلٌّ لَّهُ وَمَن يُضْلِلُ فَلَا هادِي لَهُ ، الحمد لله الذي يقلب الأيام والدهور ، وصدق القائل إذ يقول :

فلا حزن يدوم ولا سرور
رأيت الدهر منقلبًا يدور
فلم تبقَ الملوك ولا القصور
فكم بنت الملوك لها قصور
وأفني العمر في قيل وقال
أيا من عاش في الدنيا طويلاً
فإن مصير ذلك كله الزوال
أبا الدنيا يقاد إليك عفواً
وعلم الله واجمع خير زاد
ولا تركن إلى الدنيا كثيراً
أترضى أن تكون رفيق قوم
هم بزاد وأنت بغير زاد؟

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمدًا عبدُه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

آل عمران : ۱۰۲

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ الأحزاب : ۷۰ - ۷۱

فهذا كتاب أسميه «رهبان الليل»؛ لأن الرعيل الأول بحق كانوا فرسانًا بالنهار، رهبانًا بالليل بين يدي الواحد الغفار، وما أعددت هذا الكتاب إلا لتقويم الموج، وتسديد المنحرف، وبغية هداية الضال. فإن الأمة حالياً صارت أمة غثائية، وقد نزع الله المهابة من صدور أعدائها، وقذف في قلوب أبنائها الوهن، بسبب بعدهم عن الدين، وحبهم للدنيا وحرصهم عليها، وكراهيتهم للموت، وتقاعدهم عن الجihad في سبيل الله حتى صاروا مطمعاً لكل مشرك. وإنني بإعدادي لهذا الكتاب أدعوا الله تبارك وتعالى لأبناء الأمة أن يهديهم سواء الصراط، وأن يجعلهم رهبانًا بالليل، فرسانًا بالنهار، حتى ترتفع راية الواحد القهار. والحمد لله رب العالمين.

المؤلف/ الداعية الإسلامي

محمد عبد الملك الزغبي

مؤلف برابطة العالم الإسلامي برقم (٩٣/ب)

عضو العلاقات العامة العربية برقم (١١٦٦)

دراسات عليا بالدراسات الإسلامية

المنصورة

رهبَان اللَّيلِ (*)

هكذا كانت صفة الرعيل الأول «فرسان في النهار رهبان بالليل» فهم الذين زكوا أنفسهم حتى سهل قيادها، فأصبحوا هم السادة لأنفسهم، ولم يقلوا بأن يكونوا عبيداً لها توجهم حيث شاءت، فأصبحوا هم الاستثناء من الأصل في النفوس الأمارة بالسوء، ذلك بقوله تعالى: «إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَارَةٍ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي»^(١)، وأخذوا أنفسهم بالعزائم، حتى صارت أشق العبادات أحبها إلى نفوسهم، حتى إنه يروى لأكثر من واحد منهم بأنه لا يتحسن على شيء من الدنيا سوى «مكابدة الليل وظمآن الهواجر» وهو قيام الليل وصيام النهار، ولأن قيام الليل من أشد العبادات، كان هو الشغل الشاغل لهم، والذى لا يجدون لذة المناجاة إلا في غماره، حتى جعلت تلميذنا من تلاميذهم وهو عطاء بن أبي رياح يصفه بأنه «محياة للبدن، ونور في القلب، وضياء في الوجه، وقوة في البصر والأعضاء كلها، وإن الرجل إذا قام بالليل أصبح فرحا مسروراً، وإذا نام عن حزبه أصبح حزينا مكسور القلب، كأنه قد فقد شيئاً، وقد فقد أعظم الأمور نفعاً»^(٢). فلا يستغرب بعد ذلك أن تكون هذه العبادة الشاقة على النفس هي التي ربى فيها الرب سبحانه وتعالى نبيه ﷺ قبل أن يبعثه، وكانت واجبة عليه وعلى أتباعه في البداية، ذلك لأن جيل التأسيس لا يستطيع القيام بهم الدعوة العظيمة ما لم يكن صلب القاعدة، ومتين الأساس. هذا ما دعا الإمام محمد بن سيرين أن يجعلها من مكونات القدوات، فقال «لابد من قيام الليل، ولو بقدر حلب الشاة»^(٣).

ووصل حبهم لقيام الليل أنهم كانوا يحزنون حين إدباره، وإقدام النهار، وهذا هو الإمام الجليل سفيان الثوري يقول: «إذا جاء الليل فرحت، وإذا جاء النهار حزنت»^(٤).

(*) واحات الإيمان - عبد الحميد البلاوي المجموعة الأولى. ط - دار الوفاء.

(١) يوسف: ٥٣.

(٢) البداية والنهاية /٩ . ٢٩٤.

(٣) الزهد لاحمد ٦ - ٣.

(٤) البرج والتعديل ٨/١.

ويخبر عنه أبو يزيد المعنى بأنه كان «إذا أصبح مد رجليه إلى الحائط، ورأسه إلى الأرض، كي يرجع الدم إلى مكانه من قيام الليل»^(١) كيف لا يعشقون الليل وفيه ينزل الرب سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا، فيزداد الشعور بالقرب وتزداد لذة المناجاة؟ وكيف لا يعشقوه وهو أحد الطرق الموصلة للجنة بسلام؟ وذلك لقوله عليه السلام: «يا أيها الناس أفسحوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نیام تدخلوا الجنة بسلام»^(٢)، وكيف لا يعشقوه وقد كان قد وفاته حبيبهم عليهما السلام يقوم من الليل حتى تنفترق قدماه^(٣)، وهم الحريصون على الاقتداء به ليحشروا معه؟.

* معاهد الأجيال:

ولحرصهم لهذه العبادة، كانوا يتعاهدونها جيلاً بعد جيل، وكان الآباء يغرسونها في نفوس الأبناء، فعن معاوية بن قرة أن آباء كان يقول لبنيه إذا صلوا العشاء: «يا بنى ناموا لعل الله أن يرزقكم من الليل خيراً»^(٤). وكان لأبي هريرة رضي الله عنه تقسيمة أخرى للليل، فكان «يقوم ثلث الليل، وتقوم امرأته ثلث الليل، ويقوم ابنه ثلث الليل، إذا نام هذا قام هذا»^(٥).

وكانه يتمثل حديث النبي عليه السلام الذي يقول فيه: «رحم الله رجلاً قام من الليل وأيقظ امرأته، فإن أبى نصح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها، فإن أبي نصحت في وجهه الماء»^(٦).

* قيود الخطايا:

وكان الحسن البصري يعد تارك القيام محروماً، لأنَّه حرم من خير كبير فيه مناجاة الحبيب، وفيه الانتصار على النفس، وفيه الترفع على جواذب الطين، فهو يصرح بأنه «إذا لم تقدر على قيام الليل، ولا صيام النهار، فاعلم أنك محروم».

(١) الجرج والتعديل .٩/١ .

(٢) الترمذى (٢٨٧) صححه الأرناؤوط - الرياض ١١٦٦/٧ .

(٣) البخارى /٨ ٤٤٩ ومسلم ٢٨٢ .

(٤) الزهد لأحمد ١٨٧ .

(٥) الزهد لأحمد ١٧٧ .

(٦) أبو داود ١٣٠٨ .

(٧) الحسن البصري - لابن الجوزى ص ١٤ .

قد كبرت الخطايا والذنوب»^(٧) وكان يعتبر الخطايا قيوداً تمنع التوفيق لفعل هذا الخير ولابد من توبة نصوح ، واستغفار نقى ، كى ينشرح الصدر لهذه العبادة، فقد جاءه رجل يسأله «يا أبا سعيد: أعيانى قيام الليل فما أطيقه! فقال: يا ابن أخي استغفر الله ، وتب إليه ، فإنها علامة سوء»^(١) وكان يقول: «إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل»^(٢). فمن أراد أن يتسمى إلى زمرة «رهبان الليل» ليس أمامه إلا الابتعاد عن الذنب والانتصار على النفس .

(١، ٢) الحسن البصري - لابن الجوزى ص ١٤ .

اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم

وصحابته بقيام الليل^(١)

عن عبد الله بن أبي قيس قال: قالت عائشة رضي الله عنها: لا تدع قيام الليل، فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعداً. (الترغيب ٤٠١/١).

وعن جابر رضي الله عنه قال: كتب علينا قيام الليل «يَا أَيُّهَا الْمُزَمِّلُ . فُمِّ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا»^(٢) فقمنا حتى انتفخت أقدامنا، فأنزل الله تبارك وتعالى الرخصة «عِلْمَ أَن سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضٌ» إلى آخر السورة.

وعن سعيد بن هشام أنه طلق امرأته، ثم ارتحل إلى المدينة ليبيع عقاراً له بها ويجعله في الكراع والسلاح، ثم يجاهد الروم حتى يموت، فلقي رهطاً من قومه ستة أرادوا ذلك على عهد رسول الله ﷺ، فقال: «أليس لكم في أسوة حسنة؟» فنهاهم عن ذلك فأشهدهم على رجعتها، ثم رجع إليها فأخبرنا أنه أتى ابن عباس رضي الله عنهما فسأله عن الوتر فقال: لأنبئتك بأعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ: قال: نعم، قال: أئت عائشة رضي الله عنها فسلها ثم ارجع إلى فأخبرنى بردها عليك، قال: فأتيت على حكيم بن أفلح فاستخلفته إليها فقال: ما أنا بقاربها، إنني نهيتها أن تقول في هاتين الشيعتين فأبىت فيما إلا مضياً، فأقسمت عليه، فجاء معنى فدخلنا عليها فقالت: حكيم، وعرفته، قال: نعم، قالت: من هذا معك؟ قال: سعيد بن هشام، قالت: من هشام؟ قال: ابن عامر، قال: فترحمت عليه وقالت: نعم المرء كان عامراً! قلت: يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ؟ قالت: ألسنت تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن. فهممت أن أقوم ثم بدا لي قيام رسول الله ﷺ، قلت:

(١) راجع: حياة الصحابة - للكاندللوى (٥٣٦/٣ - ٥٤٠).

(٢) المزمل: ١ - ٢.

يا أم المؤمنين أتبيني عن قيام رسول الله عليه السلام ، قالت: ألسنت تقرأ هذه السورة: «**يَا أَيُّهَا الْمُزَمِّلُ**»؟ قلت: بلى، قالت: فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام رسول الله عليه السلام وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم، وأمسك الله خاتمتها في السماء الثانية عشر شهراً، ثم أنزل الله التخفيف في آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعاً من بعد فريضة فهممت أن أقوم ثم بدا لي وتر رسول الله عليه السلام فقلت: يا أم المؤمنين أتبيني عن وتر رسول الله عليه السلام ، قالت: كنا نعد له سواكه وظهوره فيبعثه الله لما يشاء أن يبعثه من الليل، فيتسوك ثم يتوضأ، ثم يصلى ثمان ركعات لا يجلس فيها إلا عند الثامنة، فيجلس ويدرك ربه تعالى ويدعوه ثم ينهض وما يسلم، ثم يصلى ركعتين وهو جالس بعدهما يسلم، فتلك إحدى عشرة ركعة يا بني، فلما أنس رسول الله عليه السلام وأخذ اللحم أوتر بسبع، ثم صلى ركعتين وهو جالس بعدهما يسلم، فتلك تسع يا بني، وكان، رسول الله عليه السلام إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها، وكان إذا شغله عن قيام الليل نوم أو وجع أو مرض صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة، ولا أعلم نبي الله عليه السلام قرأ القرآن كله في ليلة حتى أصبح، ولا صام شهراً كاملاً غير رمضان. فأتت ابن عباس فحدثته بحديثها، فقال: صدقت، أما لو كنت أدخل عليها لآتيتها حتى تشفهني مشافهة»^(١).

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصلى من الليل ما شاء الله أن يصلى حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلاة، ثم يقول لهم: الصلاة، ويتلذ هذه الآية «**وَأَمْرُ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ**» إلى قوله: «**وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ**»^(٢).

وعن الحسن أن عثمان بن أبي العاص تزوج امرأة من نساء عمر بن الخطاب، فقال: والله ما نكحتها حين نكحتها رغبة في مال ولا ولد، ولكن أحبت أن تخبرني عن ليل عمر، فسألها: كيف كانت صلاة عمر بالليل؟ قالت: كان يصلى العتمة ثم يأمر أن نضع عند رأسه توراً من ماء نغطيه، ويتعار من الليل فيوضع يده

(١) الحديث: رواه مسلم في صحيحه بنحوه، وراجع تفسير ابن كثير ٤٣/٣، والحديث بلغته رواه أحمد في مستند.

(٢) ط: ١٣٢.

في الماء فيمسح وجهه ويديه ثم يذكر الله ما شاء أن يذكر، ثم يتعار مراراً حتى يأتي على الساعة التي يقوم فيها لصلاته، فقال ابن بريدة: من حدثك؟ فقال: حدثني بنت عثمان بن أبي العاص، فقال: ثقة. وأخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيب قال: كان عمر بن الخطاب يحب الصلاة في كبد الليل - يعني وسط الليل^(١).

وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يحب الليل صلاة ثم يقول: يا نافع أسرحنا؟ فيقول: لا، فيعاود الصلاة ثم يقول: يا نافع أسرحنا؟ فيقول: نعم، فيقعد ويستغفر ويدعو حتى يصبح^(٢).

وعن أبي غالب قال: كان ابن عمر ينزل علينا بمكة فكان يتهدج من الليل فقال لي ذات ليلة قبيل الصبح: يا أبا غالب ألا تقوم فتصلني؟ ولو تقرأ بثلث القرآن، فقلت: قد دنا الصبح فكيف أقرأ بثلث القرآن؟ فقال: إن سورة الإخلاص **«قل هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»** تعدل بثلث القرآن.

وعن علقة بن قيس قال: بت مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ليلة فقام أول الليل، ثم قام يصلى فكان يقرأ قراءة الإمام في مسجد حيّه يرتل ولا يرجع يسمع من حوله ولا يرجع صوته، حتى لم يبق من الغلوس إلا كما بين أذان المغرب إلا الانصراف منها، ثم أوتر^(٣).

وعن طارق بن شهاب أنه بات عند سلمان رضي الله عنه لينظر ما اجتهاده قال: فقام يصلى من آخر الليل، فكانه لم ير الذي كان يظن، فذكر ذلك له فقال سلمان. حافظوا على هذه الصلوات الخمس، فإنهن كفادات هذه الجراحات ما لم تصب المقتلة، فإذا صلى الناس العشاء صدرروا عن ثلاثة منازل: منهم من عليه ولا له، ومنهم من له ولا عليه، ومنهم من لا له ولا عليه. فرجل اغتنم ظلمة الليل وغفلة الناس فركب رأسه في المعاصي فذلك عليه ولا له، ومن له عليه فرجل اغتنم ظلمة الليل وغفلة الناس فقام يصلى فذلك له ولا عليه، ومن لا عليه فرجل

(١) راجع: الكتز ٤/٢٨٩. (٢) رواه أبو نعيم في الحلية ١/٣٠٣، وفي الإصابة ١/٣٩.

(٣) قال البيهقي ٢/٢٦٦: «رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح».

(٤) قال المذري في الترغيب ١/٤٠١: «رواه الطبراني في الكبير موقعاً بإسناد لا ياس به ورفعه جماعة».

صلى ثم نام فلا له ولا عليه إياك والحقيقة وعليك بالقصد وداوم^(٤).

صلاة الليل وما يقال فيها

قال قتادة: لما نزلت: ﴿قُمُ الَّلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قاموا حولاً أو حولين، حتى انتفخت سوقيهم وأقدامهم، فأنزل الله تعالى تخفيفاً في آخر السورة.
﴿عِلْمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضٍ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَتَغُوفُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ فنسخت هذه الآية وما قبلها.

واعلم رحmk الله أن الصلاة نور وضياء، ودواء وشفاء، وخير موضوع، كما ورد في الخبر: «فليستقل العبد من ذلك أو ليستكثر» رواه أبو داود رحمه الله.
وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : «استقموا ولن تخصصوا، واعملوا وخير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الموضوع إلا مؤمن» ذكره مالك في الموطأ.

وليس يلى الصلاة المكتوبة في الفضيلة إلا الصلاة في جوف الليل، كما ورد في الخبر: «أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان صيام شهر الله المحرم» ذكره مسلم عن أبي هريرة عن النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ .

١ - قال ابن الخراط:

وقيق فى تفسير قول يعقوب عليه السلام لبنيه: «سوف أستغفر لكم ربى» وإنما أراد أن يكون استغفاره فى السحر، لأنه [مظان القبول] ووقت الإجابة.

٢ - وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ :

«إن أحب الصيام إلى الله صيام داود، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود»

كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه وينام سدسها.

وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً.

٣ - وسئل الحسن بن أبي الحسن البصري رحمه الله:

أى قيام الليل أفضل؟ قال: جوف الليل الأوسط، عند ذلك يكون نزول الرحمة وحلول المغفرة.

٤ - وعن أبي مسلم قال: قلت لأبي ذر: أى صلاة الليل أفضل؟ فقال:

سألت رسول الله ﷺ فقال: «نصف الليل وقليل فاعله».

٥ - عن عائشة قالت: ما ألفى رسول الله ﷺ السحر الأعلى في بيتي أو عندي إلا نائماً.

٦ - قالت: إن كان رسول الله ﷺ ليوقظه الله تعالى بالليل فما يجيء السحر حتى يفرغ من جزئه.

٧ - وعن مسروق بن الأجدع: سألت عائشة عن عمل رسول الله ﷺ فقالت: كان يحب الدائم.

قلت: أى حين كان يصلى؟ قالت: كان إذا سمع الصارخ قام فصلى.

ما يقال في صلاة الليل

١ - عن علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة

قال:

«وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حينفأ، وما أنا من المشركين، إن صلاتى ونسكى ومحايى وماتى الله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين».

«اللهم أنت الملك، لا إله إلا أنت، أنت وليي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبى، فإغفر لى ذنبى جمیعاً، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدىنى لأحسن الأخلاق، لا يهدى لاحسنها إلا أنت، وإصرف عنى سينها لا يصرف عنى سينها إلا أنت، ليك وسعديك والخير كله بيديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك تبارك وتعالى، أستغفرك وأتوب إليك».

وإذا رکع قال: «اللهم لك رکعت، وبك آمنت ولک أسلمت، خشى الله سمعى وبصرى ومخى وعظمى وعصبى».

وإذا رفع قال: «اللهم ربنا لك الحمد، مليء السموات و مليء الأرض، و مليء ما بينهما، و مليء ما شئت من شيء بعد».

وإذا سجد قال: «اللهم لك سجدة، وبك آمنت، ولک أسلمت، سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين».

ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «اللهم إغفر لى ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت».

٢ - عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل: «اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض، ولک الحمد، أنت قيام السموات والأرض، ولک الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن، أنت الحق ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاوك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت وإليك أنت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لى ما قدمت وأخرت وأسررت وأعلنت، أنت إلهى، لا إله إلا أنت».

٣ - وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت عائشة أم المؤمنين: بأى شيء

كان النبي ﷺ يفتح الصلاة إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتح صلاته:

«الله رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنِي لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

عن عاصم بن حميد قال: سألت عائشة بما كان يستفتح [رسول الله ﷺ] قيام الليل؟ قالت: لقد سألتني عن شيء ما سأله عنه أحد قبلك، كان رسول الله ﷺ يكبر عشرًا ويحمد عشرًا ويسبح عشرًا ويهلل عشرًا ويستغفر عشرًا ويقول: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي واهدِنِي وارزقْنِي وعافِنِي، أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ ضيقِ المقامِ يوْمَ القيمة».

٤ - عن ابن عباس قال: بت عند خالتى ميمونة، فقام النبي ﷺ من الليل فأتى حاجته، ثم غسل وجهه ويديه ثم نام، ثم قام فأتى القرية فأطلق شناقتها ثم توضاً وضوءاً بين الموضوعين ولم يكثر وقد أبلغ ثم قام فصلى فقمت فتمطيت كراهيه أن يرى أنى كنت أتبه إليه، فتوضأت فقمت عن يساره، فأخذ بيدي فأدارنى عن يمينه. فتاتمت صلاة رسول الله ﷺ من الليل ثلاثة عشرة ركعة ثم اضطجع فنام حتى نفح وكان إذا نام نفح، فأتاه بلال فأذنه بالصلاحة فقام فصلى ولم يتوضأ، وكان يقول في دعائه:

«اللهُمَّ إِذْ جَعَلْتَ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقَنِي نُورًا، وَتَحْتِنِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَأَعْظَمُ لِي نُورًا».

٥ - ويروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان إذا قام من الليل يقول:

«اللهُمَّ إِنَّكَ تَرَى مَقَامِي وَتَعْلَمُ حاجَتِي، فَارجِعْنِي لِلليلَةِ مِنْ عَنْدِكَ مَفْلِحًا مَنْجَحًا مَسْتَجِيًّا مَسْتَجَابًا لِي، قَدْ رَحْمَتْنِي وَغَفَرْتْ لِي».

فإذا قضى صلاته قال: «اللهم إني لا أرى شيئاً من أمر الدنيا يدوم، ولا أرى فيها حالاً يستقيم، فاجعلنى أنطق فيها بحكم، وأصمت فيها بحكم، اللهم لا تكثر لى من الدنيا فأطغى، ولا تقلل لى منها فأنسى، فإن ما قل وكفى خير ما كثر وألهى».

وكان يزيد الرقاشي إذا قام لصلاة الليل يقول: اللهم إن فرارى من النار إلى رحمتك بطئٌ، فقرب رحمتك مني يا أرحم الراحمين، وطلبي لجنتك ضعيف فقو ضعفى في طاعتك يا أكرم المسؤولين.

وكان خليفة العبدى من العابدين، وكان إذا قام الليل يقول: قام الباطلون وقامت معهم متعرضين لجودك، فكم من ذى جرم عظيم قد صفت له عن جرمه، وكم من ذى كرب عظيم كشفت له عن كربه، وكم من ذى ضر كثير فرجت له عن ضره، فوعزتك ما دعانا إلى مسألتك مع ما انطويانا عليه من معصيتك إلا الذى عرفناه من كرمك وجودك فأنت المؤمل لكل خير والمرجو عند كل نائبة.

٦ - عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأله عائشة: كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في رمضان؟ قالت: ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلى أربعاء فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلى أربعاء فلا تسأل عن حسنهن ولا طولهن، ثم يصلى ثلاثة.

قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله أتنام قبل أن توتر؟ قال: «يا عائشة إن عيني تنام ولا ينام قلبي».

٧ - عن حذيفة بن اليمان قال: صلية مع النبي ﷺ ليلة فافتتح البقرة فقلت: يركع عند المائة فمضى، فقلت: يركع عند المائتين فمضى، فقلت: يصلى بها في ركعة فمضى، فافتتح سورة النساء فقرأها، ثم افتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبع، وإذا مر بسؤال سأله، وإذا مر بتعمود تعوذ، ثم رکع فقال: «سبحان ربى العظيم».

فكان رکوعه نحواً من قيامه، ثم رفع رأسه فقال: «سمع الله لمن حمده» وكان

قيامه قريباً من ركوعه، ثم سجد فجعل يقول: «سبحان ربى الأعلى».

فكان سجوده قريباً من ركوعه.

٨ - وعن عبد الله بن خباب بن الأرت عن أبيه أنه راقب رسول الله ﷺ في ليلة صلاها رسول الله ﷺ حتى كان مع الفجر، فلما سلم رسول الله ﷺ من صلاته جاءه خباب فقال:

يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، لقد صليت الليلة صلاة، ما رأيتك صليت نحوها، فقال رسول الله ﷺ :

«أجل إنها صلاة رغب ورهب سألت ربى فيها ثلاط خصال، فأعطانى اثنتين ومنعني واحدة، سألت ربى ألا يهلكنا بما أهلك به الأمم قبلنا فأعطانيهما، وسألت ربى ألا يظهر علينا عدواً من غيرنا فأعطانيهما، وسألت ربى ألا يلبسنا شيئاً فمنعنيهما».

٩ - عن زيد بن خالد الجهنى أنه قال: لأرمقن صلاة رسول الله ﷺ الليلة فصلى ركعتين خفيفتين.

ثم صلى ركعتين طويتين طويتين، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما.

ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم أوتر بذلك ثلاث عشرة ركعة.

١٠ - وعن يعلى بن مملوك أنه سأله أم سلمة رضى الله عنها عن صلاة رسول الله ﷺ فقالت: كان يصلى العتمة ثم يسبح ثم يصلى بعدها ما شاء من الليل، ثم ينصرف فيرقد مثل ما صلى ثم يستيقظ من نومته تلك فيصلى مثل ما نام وصلاته تلك الآخرة تكون إلى الصبح.

كيفية قراءة القرآن في قيام الليل

١ - عن أبي هريرة قال:

كانت قراءة رسول الله ﷺ بالليل يرفع طوراً ويخفض طوراً.

٢ - وعن عائشة قالت:

تهجد النبي ﷺ في بيتي، فسمع صوت عباد يصلى في المسجد فقال: «يا عائشة، أصوات عباد هذا؟».

قلت: نعم. قال: «اللهم ارحم عباداً».

عباد هذا هو عباد بن بشر الانصارى رضى الله عنه.

٣ - وعن عبد الله بن أبي قيس قال:

سألت عائشة: كيف كانت قراءة رسول الله ﷺ بالليل أيجهر أم يسر؟
قالت: كل ذلك كان يفعل، ربما جهر وربما أسر.

٤ - عن عبد الله بن رباح عن أبي قتادة الانصارى أن النبي ﷺ قال لأبي بكر: «مررت بك وأنت تقرأ وأنت تخفض من صوتك».

فقال: إني أسمعت من ناجيت. قال: ارفع قليلاً.

وقال لعمر: مررت بك وأنت [تقراً، وأنت] ترفع من صوتك.

فقال: إني أوقظ الوستان وأطرد الشيطان. قال: «أخفض قليلاً».

٥ - وعن أبي سعيد بن حضير أنه كان يقرأ ليلاً في مربه قال: فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أرها، فغدوت على رسول الله ﷺ - يعني ذكر ذلك له - فقال رسول الله ﷺ: «تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستر منهم».

٦ - عن عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقرأ من الليل فقال: «يرحمه الله لقد أذكروني كذا وكذا آية كنت أسقطتها من سورة كذا وكذا».

٧ - وعنها قالت: كان النبي ﷺ يستمع قراءة رجل في المسجد فقال:
«رحمه الله لقد أذكرني آية كنت أنسنتها».

٨ - وروى ابن القاسم عن مالك أنه قال: يستحب للذى يصلى فى بيته أن يرفع صوته بالقرآن، وقد كان الناس إذا أرادوا سفراً اعدوا لقيام القراء وكانت بيوتهم شتى فكانت أصواتهم تسمع القرآن، فأنا أستحب ذلك.

٩ - يقول ابن الخراط: وهذا راجع إلى الإنسان، وهو مخير فيما شاء منه وبحسب ما تحضره النية وتطيب له القراءة ما لم يشغل مصلياً أو يؤذ نائماً في وقت قد أبيح فيه النوم.

أما منعه من إشغال المصلى، فلما ذكره مالك في الموطأ عن فروة بن عمرو البياض أن رسول الله ﷺ خرج على الناس وهم يصلون، وقد علت أصواتهم بالقراءة. فقال:

«إن المصلى ينажي ربه، فلينظر بما يناجيه به ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن»، وأما منعه من إيذائه النائم، فلأن النائم في وقت أبيح له فيه النوم لم يحل أن يوقظه إلا بأمر يوجب ذلك.

إقامة حروف القرآن في قراءته

- ١ - وقد أباح عليه السلام القيام بالقرآن في ثلات ليالٍ، ولا يقوم أحد بالقرآن في ثلات ليالٍ في الوقت المستحب للقيام من نصف الليل أو نحوه إلا وليهذه أو يهد في كثير منه هذا على حكم العادة في الكل أو في الأكثر.
- ٢ - عن مالك أنه قال في الهدى في القراءة: من الناس من إذا هز كان أحق عليه، وإذا رتل أخطأ، ومن الناس من لا يحسن الهدى والناس في هذا على قدر حالاتهم وما يخف عليهم، وكل واسع.
- ٣ - وذكر عن زياد بن عبد الرحمن قال: قال لنا مالك رحمه الله: الترسل من غير سرف أحب إلينا من الهدى، وخير الأمور أو سلطتها، فلا أرى أن يترسل جذأ، ولا أرى أن يهدى هذا، لكن وسطاً من القراءة. قال: أما الترتيل فهو المحفوظ عن رسول الله ﷺ كان عليه السلام يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها، وكان عليه السلام يقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم» فيمد بسم الله ويد بـ الرحمن ويد بـ الرحيم.
- ٤ - وقد قال رجل لعبد الله بن مسعود: قرأت البارحة المفصل كله فقال له: هذا كهدى الشعر، إن أقواماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع.
- ٥ - وقال سفيان الثوري: لا بأس أن يقرأ القرآن في ليلة إذا أقام حروفه.

(١) الصلة - للخراط - مرجع سابق.

ترديد الآيات في القرآن

يقول ابن الخراط: وأما ترديد الآية فقد روى عنه عليه السلام أنه قام ليلة بأية يرددتها، وهي.

﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ثم ساق هذه الروايات التالية.

روى عن مسروق أنه قال: قال لى رجل من أهل مكة هذا مقام أخيك تميم الدارى، لقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح أو قرب أن يصبح يقرأ بأية يركع فيها ويسلام ويبيكى ﴿أَمْ حَسْبُ الظِّنِّ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مُّجَاهِمْ وَمَا تَهْمِمُ سَاءُ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

وعن صفوان بن سليم قال:

قام تميم الدارى فى المسجد بعد أن صلى العشاء الآخرة فمر بهذه الآية ﴿تَلْفُحُ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالْحَوْنَ﴾ فما خرج منها حتى سمع آذان الصبح.

وكان مروان بن رباب الأسدى يقوم من الليل ليتهجد، فربما ردد هذه الآية حتى أصبح. ﴿قَالُوا يَا لَيْتَنَا نَرَدْ وَلَا نَكْذِبْ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ويبكي فهو كذلك حتى يصبح - أو قال: يذهب - ليل طويل وكان إذا قام للتهجد قام مسروراً.

وردد سعيد بن جبیر هذه الآية حتى أصبح ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيْهَا الْمُجْرُمُونَ﴾.

وقام رجل من الصالحين يصلى من الليل فمر بقوله تعالى: ﴿وَسَارُوا إِلَى مَغْفِرَةِ رَبِّكُمْ وَجْنَةُ عَرْضَهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ فجعل يرددتها ويبكي حتى أصبح، فلما أصبح قيل له: لقد أبكتك آية ما مثلها يبكي إنها جنة عريضة - أى واسعة - فقال: يا ابن أخرى، وما ينفعنى عرضها إن لم يكن لى فيها موضع قدم.

وقال أشهب بن عبد العزيز: خرجت ليلة بعد ما رقد الناس فمررت بمنزل مالك بن أنس فإذا هو قائم يصلى، فلما فرغ من قراءة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

ابتدأ **«اللهُمَّ اكثِرْ التَّكَاثِرْ»** حتى زرتهم المقابر **«ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ»** فبكى بكاء طويلاً، ثم جعل يرددتها ويبكي، وشغلته ما أسمع من كثرة بكائه عن التوجه إلى حاجتي التي خرجت إليها ولم أزل قائماً وهو يرددتها ويبكي حتى طلع الفجر، فلما تبين له الفجر ركع، فانصرفت إلى منزلتي فتوضأت، ثم أتيت المسجد فإذا به في مجلسه والناس حوله فلما أصبح نظرت إلى وجهه وقد علاه نور ، فتذكرت الحديث ، من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار.

وقال خلف بن حوشب : أقام سليمان التيمي فصللى فقرأ سورة الملك فلما بلغ إلى قوله تعالى : **«فَلَمَّا رَأَوْهُ زَلْفَةَ سَيِّئَتْ وَجْهَ الَّذِينَ كَفَرُوا»** فجعل يرددتها فلم يزل يرددها حتى أصبح .

وقال سعيد بن عبيد : كان سعيد بن جبير يوم قومه ، فسمعته ليلاً في تراویح شهر رمضان يردد قوله تعالى : **«إِذَا الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاَلُ يَسْجُبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يَسْجُرُونَ»** فجعل ينشج بنشيج يقطع أكباد سامعيه حتى سقط مغشياً عليه .

ويروى أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - كان يمر بالآية في ورده فيسقط فيعاد منها كما يعاد المريض .

وقام الحسن البصري ليلاً يصلى فردد هذه الآية حتى أسرح **«وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَخْصُوهَا»** فلما أصبح قيل له : يا أبا سعيد، لم تقدر تجاوز هذه الآية سائر الليلة . قال : إن فيها لمعترياً ما نرفع طرفاً ولا نزده إلا وقع على نعمة وما لا نعلم من نعم الله أكثر .

وقام الحسن بن حي ليلاً بـ **«عَمَّ يَتْسَاءَلُونَ»** يردد آية فيها ثم غشى عليه ثم عاد فعاد إليها فغضي عليه ، فلم يختتمها حتى طلع الفجر .

وقال محمد بن كعب القرظى : لأن أقرأ بـ **«إِذَا زَلَّتْ»** وبـ **«القارعة»** أرددتها أو أتفكر فيها حتى أصبح ولا أزيد عليها أحب إلى من أن أهدى القرآن ليلتى كلها هذا .

القصد في الطاعة

وقيام الليل

١ - عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: بلغ النبي ﷺ أصوص أسرد وأصلى الليل فلما أرسل إلى إمام لقيته، قال: «ألم أخبر أنك تصوم ولا نفتر وتصلى الليل؟ فلا تفعل فإن لعينيك حظاً، ولنفسك حظاً، ولأهلك حظاً، فصم وأفتر وصل ونم».

٢ - وذكر البخاري أيضاً عن أنس قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيت النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا حالتهم فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. فقال أحدهم: أما فإني أصلى الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفتر، وقال الآخر: وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «أأنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إنى لا أخشاكם الله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفتر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى».

٣ - عن عائشة قالت: دخل على رسول الله ﷺ وعندي امرأة، فقال: «من هذه؟» فقلت: امرأة لا تنام تصلى. فقال: «عليكم من الأعمال بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه».

وفي لفظ آخر: هذه الحولاء بنت تويت زعموا أنها لا تنام الليل، فقال رسول الله ﷺ: «لا تنام الليل؟ خذوا من العمل ما تطيقون، فوالله لا يسام الله حتى تسأموا».

٤ - عن أنس بن مالك قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد وحبل ممدود بين ساريتين فقال: «ما هذا؟» فقالوا: لزينب تصلى، فإذا كسلت أو فترت وأمسكت به فقال: «حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا كسل أو قد قعد».

٥ - وذكر البخاري عن أبي جحيفة قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء فزار سلمان أبو الدرداء فرأى أم الدرداء متبدلة فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فوضع له طعاماً فقال: كل فإني صائم قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال: نم ثم ذهب يقوم فقال: نم. فلما كان من آخر الليل قال سلمان:

قم الآن فصلياً فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فاعط كل ذي حق حقه. فأتى النبي ﷺ فذكر له ذلك فقال النبي ﷺ صدق سلمان.

٦ - وذكر أبو داود عن عائشة أن النبي ﷺ بعث إلى عثمان بن مظعون، فجاءه فقال: «يا عثمان، أرغيت عن سنتي؟» فقال: لا والله يا رسول الله ولكن سنتك أطلب قال: «فإن أنام وأصلى وأصوم وأفطر وأنكر النساء. فاتق الله يا عثمان، فإن لأهلك عليك حقاً، وإن لضيفك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً فصم وأفطر وصلى ونم».

٧ - وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:
«إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحـة وشيء من الدبلجة».

٨ - وللبخاري عن أبي هريرة أيضاً قال:
قال رسول الله ﷺ: «لن ينجي أحد منكم عمله».

قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته سددوا وقاربوا واغدوا وروحوـوا وشيء من الدبلجة والقصد تبلغوا».

٩ - وعن عائشة أن النبي ﷺ قال: «إن نعس أحدكم في الصلاة فليقرب حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه».

١٠ - ويروى عن محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «إن هذا الدين متين فأوغلو فيه برق، ولا تبغضوا إلى أنفسكم عبادة الله فإن المنبت لم يقطع سفراً ولم يبق ظهراً».

وقول عائشة رضي الله عنها: إن النبي ﷺ كان إذا غلبه النوم أو وجع عن قيام الليل صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة.

عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأ ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كائنا قرأ من الليل».

عن أبي الدرداء يبلغ به النبي ﷺ قال: «من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلى من الليل فغلبته عينه حتى يصبح كان له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من ربه».

وقيل في قوله تعالى: «وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً».

أى: يخالف هذا هذا، ويختلف هذا هذا، وقوله تعالى: «لمن أراد أن يذكر» أى يذكر نعمة ربها عليه، فمن فاته عمل الليل عمله بالنهار، ومن فاته عمل بالنهار عمله بالليل.

وقال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون النقصان من العمل ويستحبون الزيادة فيه وإنما فشيء ديه يقول: لا زيادة ولا نقصان.

قال: وكان إذا فاتهم شيء من الليل قضوه بالنهار.

عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيناً صحيحاً».

لا تترك قيام الليل إلا لواجب عليك

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ : «يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل».

قال ابن الخراط: واعلم أنه لا ينبغي لك أن تترك قيام الليل لنوع آخر من الخير إلا أن يكون العمل الذي تركه له كان واجباً عليك، وفرضأ في حقك تطلب به إن لم تفعله وتؤخذ به وإن ضيعته، أو لعمل فيه نص جلى فإنه أفضل من قيام الليل.

عن عبد الله بن مسعود قال: ذكر عند رسول الله ﷺ رجل نام حتى أصبح فقال: «ذاك رجل بالشيطان في أذنيه».

وقد ذكر مسلم والبخاري:

عن عبد الله أيضاً، قال أبو سليمان الخطابي في تفسير هذا الحديث: هذا مثل ضربه عليه السلام له حين غفل عن الصلاة بوقوع البول المفسد الضار في أذنيه كقول الراجز.

عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أن النبي عليه السلام طرقه وفاطمة فقال: «ألا تصلون؟» فقلت: يا رسول الله، إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا فإنصرف رسول الله ﷺ حين قلت له ذلك ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول **«وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً»**.

وذكر مالك في الموطأ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضاً انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطاً طيب النفس وإنما أصبح خبيث النفس كسلان».

وذكره أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف وقال فيه: «نشيطاً طيب النفس قد

أصاب خيراً، وإن لم يفعل أصبح كسلان خبيث النفس لم يصب خيراً».

وذكر مسلم من حديث سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أبيه عبد الله بن عمر بن الخطاب قال:

كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصها على النبي ﷺ، فتمنيت أن أرى رؤيا أقصها على النبي ﷺ و كنت غلاماً شاباً عذباً و كنت أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ فرأيت في النوم كان ملكين أخذاني فذهبنا بى إلى النار، فإذا هي مطوية كطى البتر، وإذا بها قرنان كقرنى البتر، وإذا فيها أناس من قريش قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار أعوذ بالله من النار أعوذ بالله من النار، فلقيهما مالك فقال لى: لم ترع، فقصصتها على حفصة، فقصصتها على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «نعم الرجل لو كان يصلى من الليل».

قال سالم: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً.

وقال البخاري في هذا الحديث: وجهنم مطوية كطى البتر، لها قرون كقرون البتر بين كل قرنين مالك بيده مقمعة من حديد وأرى فيها رجالاً معلقين بالسلاسل رؤوسهم أسفلهم، عرفت فيها رجالاً من قريش.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فإن أبنت فنضج في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى، فإن أبي نضحت في وجهه الماء».

وكان النبي ﷺ يوقظ عائشة على صغرها إذ ذاك توتر في آخر الليل وكانت توتر بركعات.

و قال عليه السلام: «الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفى الماء النار و صلاة الرجل من جوف الليل» ثم قرأ: «تجاهفي جنوبهم عن المضاجع» حتى بلغ «يعملون».

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

«ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغرنى فأغفر له».

وعنه عن رسول الله ﷺ قال:

«ينزل الله إلى السماء الدنيا حين يمضي ثلث الليل الأول، فيقول: أنا الملك أنا الملك، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغرنى فأغفر له، فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر».

ويروى: «حتى يطلع الفجر وينصرف القارئ من صلاة الصبح».

ذكره أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه على ما ذكره ابن مغيث في كتاب التهجد.

ولمسلم في هذا الحديث عن أبي هريرة أيضاً عن النبي ﷺ فيقول: «هل من سائل يعطى؟ هل من داع يستجاب له؟ هل من مستغفر يغفر له؟».

* وفي أخرى: «ثم يسْطِي يديه تبارك وتعالى يقول:
«من يقرض غير عدوم ولا ظلوم؟».

وذكر مسلم عن جابر بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاها الله وذلك كل ليلة».

ومن حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «لا حسد إلا في الثنين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار».

وقال البخاري: «رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فسمعه جار له فقال: ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه في الحق فقال رجل: ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان فعملت مثل ما يعمل».

وروى أبو أمامة الباهلي عن النبي ﷺ قال: «عليكم بقيام الليل، فإنه دأب

الصالحين قبلكم. وهو قربة إلى ربكم وتكفير للسيئات، ومنها عن الإثم» وفي رواية «ومطردة للداء عن الجسد».

وعن عبد الله بن سلام قال: لما قدم النبي عليه السلام المدينة: انげل الناس إليه وقيل: قدم رسول الله عليه السلام فجئت أنظر في الناس فلما تبيّنت وجه رسول الله عليه السلام عرفت أنه ليس وجه كذاب، فكان أول شيء سمعته أن قال: «يا أيها الناس أفسحوا السلام، أطعموا الطعام، صلوا الأرحام، صلوا بالليل والناس نiam تدخلوا الجنة بسلام» وقد ذكره الترمذى أيضاً.

ومثله ما روى أبو هريرة قال: قلت: يا رسول الله إني إذا رأيتك طابت نفسي وقررت عيني فأنبئني بشيء إذا فعلته دخلت الجنة. قال: «أطعم الطعام، وأفتشي السلام، وصل بالليل والناس نiam تدخل الجنة بسلام».

وروى النسائي عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري قالا: قال رسول الله عليه السلام: «من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين جمِيعاً كتاباً من الذاكرين الله كثيراً والذاكريات».

وعن شهر بن حوشب قال: إذا قام العبد من الليل ت بشبست له الأرض واستئنار له موضع مصلحة، وفرح به عمار داره من مسلمي الجن واستمعوا لقراءته وأمنوا على دعائه، فإذا انقضت عنه ليلة أو صرت به الليلة المستأنفة فقالت: كوني عليه خفيفة، تبهله ساعته وارحمي طول سهره إذا قام البطالون. قال: ثم تولى عنه ليلته وتقول عند فراقه:

استودعتك الذي استعملك في بطاعته وجعلني لك في القيمة شهيداً. قال: ويقول له النهار في آخره مثل ذلك.

وعن المبارك بن فضالة قال: قال رجل للحسن البصري: يا أبا سعيد ما أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله تبارك وتعالى من الأعمال؟ قال: ما أعلم شيئاً يتقرب به المتقربون إلى الله عز وجل أفضل من قيام العبد في جوف الليل.

وعن الحسن أيضاً قال: ما نعلم عملاً أشد من مكافحة هذا الليل، ونفقة هذا المال.

وقال الحسن البصري - رحمه الله تعالى - : شرف المؤمنين قيامهم بالليل وعزهم الاستغناء عما في أيدي الناس .

وقال يزيد الرقاشي : قيام الليل نور للمؤمن يوم القيمة يسعى من بين يديه ومن خلفه وصيام العبد يبعده من حر السعير .

وقال عطاء الخراساني : كان يقال : قيام الليل محبة للبدن ، ونور في القلب وضياء في البصر ، وقوة في الجوارح ، وإن الرجل إذا قام متهجداً أصبح فرحاً يجد لذلك فرحاً في قلبه ، إذا غلبته عيناه ونام عن جزئه أصبح حزيناً منكسر القلب كأنه قد فقد شيئاً ، وقد فقد أعظم الأمور له نفعاً .

وقال طلحة بن مصرف : بلغنى أن العابد إذا قام للتهجد من الليل ناداه ملك : طوبى لك سلكت منهاج العبادين قبلك .

وقد روى عن يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر بن عبد الله عن النبي عليه السلام وعن وهب بن منبه - قال : «قيام الليل يشرف به الوضيع ، ويعز به الذليل ، وصيام النهار يقطع عن صاحبه الشهوات ، وليس للمؤمن راحة دون دخول الجنة» .

وقال يزيد الرقاشي : بطول التهجد تقر عيون العبادين ، وبطول الظمام تفرح قلوبهم عند لقاء الله عز وجل .

ويروى عن عبد الله بن سليمان العسقلاني ، وكان رجلاً صالحًا فاضلاً قال : حدثني رجل من العبادين محمد قدم علينا مرابطاً بعسقلان قال : قمت ذات ليلة للتهجد على بعض السطوح ، فإذا أنا بهاتف يهتف في البحر : إليكم معاشر العبادين أبناء السالفين قبلكم قسمت العبادة ثلاثة أجزاء ، فأولها قيام الليل وثانيها صيام النهار ، وثالثها الدعاء والتسبيح هذا خبر القيمة فخذوا منه الحظ الأوفر . قال : فسقطت والله على وجهي مما داخلي من ذلك .

وقال وهب بن منبه : ثلاثة من روح الدنيا : لقاء الإخوان ، وإفطار الصائم ، والتهجد من آخر الليل .

وروى أبو بكر بن أبي الدنيا قال : حدثنا سعيد ، نا على بن مسهر عن عبد

الله بن إسحاق عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت:

قال رسول الله ﷺ :

«إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيمة نادى منادٍ: أين الذين كانوا تتجافى جنوبهم عن المصالحة، فيقومون وهم قليل ثم يحاسب سائر الناس»(*).

(*) راجع الصلاة - للخراط - والحديث في إسناده «شهر بن حوشب» راجع ترجمتنا له في تحقيق الإحياء - ط المنار.

بعض نماذج القائمين بالليل

من الرعيل الأول

ابن عباس «حبر الأمة»

أخبر عبد الله بن مليكة قال: عن ابن عباس:

صحت ابن عباس رضى الله عنه من مكة إلى المدينة، فكنا إذا نزلنا متزلاً قام
شطر الليل والناس نيام من شدة التعب.

ولقد رأيته ذات ليلة يقرأ **﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كَنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾**^(١) فظل يكررها وينشج^(٢) حتى طلع عليه الفجر.

وحسينا بعد ذلك كله أن نعلم أن عبد الله بن عباس كان من أجمل الناس
جمالاً، وأصبحهم وجهاً، مما زال يبكي في جوف الليل من خشية الله حتى
أحدث الدمع الهتون^(٤) على خديه الأسيلين مجريين شبههما بعضهما بشراكى
التعل^(٥).

(١) سورة ق: ١٩.

(٢) ينشج: يبكي بصوت عال.

(٣) الدمع الهتون: الدمع المتصبب بغزاره.

(٤) خديه الأسيلين: خديه المستويين الناعمين.

(٥) شرك التعل: سير التعل.

أبو هريرة (*)

لا ريب في أنك تعرف هذا النجم المتألق من صحابة رسول الله عليه صلوات الله عليه وسلم.

وهل في أمة الإسلام أحد لا يعرف أبو هريرة؟

لقد كان الناس يدعونه في الجاهلية «عبد شمس» فلما أكرمه الله بالإسلام

وشرفه بقاء النبي عليه الصلاة والسلام قال له: «ما اسمك؟».

فقال: عبد شمس.

فقال عليه الصلاة والسلام: «بل عبد الرحمن».

فقال: نعم عبد الرحمن، بأبي أنت وأمي ^(١) يا رسول الله.

أما تكتينيه بأبي هريرة فسببها أنه كانت له في طفولته هرة صغيرة يلعب بها،

فجعل لداته ^(٢) ينادونه: أبو هريرة.

وشاع ذلك وذاع حتى غلب على اسمه.

فلما اتصلت أسبابه بأسباب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه جعل يناديه كثيراً: «أبا هر» إيناساً له وتحبباً، فصار يؤثر «أبا هر» على «أبي هريرة» ويقول: ناداني بها حبيبي رسول الله.

والهر ذكر، والهريرة، أثني، والذكر خير من الأثنى.

أسلم أبو هريرة على يد الطفيلي بن عمرو الدوسى ^(٣)، وظل في أرض قومه دوس إلى ما بعد الهجرة بست سنين حيث وفد مع جموع من قومه على رسول الله عليه صلوات الله عليه وسلم بالمدينة.

وقد جمع أبو هريرة إلى وفرة علمه وسماحة نفسه التقى والورع؛ فكان يصوم النهار، ويقوم ثلث الليل، ثم يوقظ زوجته فتقوم ثلثة الثاني ثم توقظ هذه ابنتهما فتقوم ثلثة الأخير.

(*) راجع: صور من حياة الصحابة

(١) بأبي أنت وأمي: أي أجديك بأبي وأمي.

(٢) لداته: الماثلون له في السن، وسموا كذلك؛ لأنهم ولدوا في زمن واحد.

(٣) انظر: سيرته في ص ٥.

عبد الله بن الزبير وأمه (*)

وإذا نسي التاريخ لاسماء بنت أبي بكر مواقفها كلها، فإنه لن ينسى لها رجاحة عقلها، وشدة حزمها، وقوة إيمانها وهي تلقى ولدها عبد الله اللقاء الأخير.

وذلك أن ابنتها عبد الله بن الزبير بُويع له بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية ودانت له الحجاز ومصر والعراق وخراسان وأكثر بلاد الشام.

لكن بنى أمية ما لبثوا أن سيروا لحربه جيشاً جليباً^(١) بقيادة الحجاج بن يوسف الشقفي، فدارت بين الفريقين معارك طاحنة أظهر فيها ابن الزبير من ضروب البطولة ما يليق بفارس كمٍ^(٢) مثله.

غير أن أنصاره جعلوا ينفضون^(٣) عنه شيئاً فشيئاً؛ فلجا إلى بيت الله الحرام، واحتمنى هو ومن معه في حمى الكعبة المعظمة... . وقبيل مصرعه بساعات دل على أمه أسماء - وكانت عجوزاً قد كف بصرها - فقال:

السلام عليك يا أمي^(٤) ورحمة الله وبركاته.

فقالت: وعليك السلام يا عبد الله... . ما الذي أقدمك في هذه الساعة، والصخور التي تقذفها منجنينات^(٥) الحجاج على جنودك في الحرم تهز دور مكة هزاً!

قال: جئت لاستشيرك.

قالت: تستشيرني!!... في ماذا؟!

قال: لقد خذلني الناس وانحازوا عن رهبة من الحجاج أو رغبة بما عنده، حتى أولادي وأهلى انفضوا^(٦) عنـه، ولم يبق معـي إلا نـفر قـليل من رجالـي، وهم

(*) راجع صور من حياة الصحابة.

(١) جيشاً جليباً: جيشاً كثيفاً جراراً.

(٢) ينفضون عنه: يتفرقون عنه.

(٣) يا أمي: يا أمـاه.

(٤) منجنينات: جمع منجنين، وهو آلة حربية كانت تقذف بها الصخور وتحوّلها على المقابل والمحصون.

(٥) انفضوا: تفرقوا.

مهما عظم جلدهم^(١) فلن يصبروا إلا ساعة أو ساعتين، ورسل بنى أمية يفاوضونى على أن يعطونى ما شئت من الدنيا إذا أنا أقيت السلاح وبأياعت عبد الملك بن مروان، فما ترين؟

فعلا صوتها وقالت: الشأن شأنك يا عبد الله، وأنت أعلم بنفسك... فإذا كنت تعتقد أنك على حق، وتدعوا إلى حق، فاصبر وجالد كما صبر أصحابك الذين قتلوا تحت رايتك...

وإن كنت إنما أردت الدنيا فلبس العبد أنت: أهلكت نفسك، وأهلكت رجالك.

قال: ولكنني مقتول اليوم لا محالة.

قالت: ذلك خير لك من أن تسلم نفسك للحجاج مختاراً، فيلعب برأسك غلمان بنى أمية.

قال: لست أخشى القتل، وإنما أخاف أن يمثلوا بي.

قالت: ليس بعد القتل ما يخافه المرء، فالشاة المذبوحة لا يؤلها السلح^{...} فأشرقت أسارير^(٢) وجهه وقال: بوركت من أم، وبوركت مناقبك^(٣) الجليلة؛ فأنا ما جئت إليك في هذه الساعة إلا لأسمع منك ما سمعت، والله يعلم أنني ما وهنت ولا ضعفت، وهو الشهيد على أنني ما قمت بما قمت به حباً بالدنيا وزيتها، وإنما غضبًا لله أن تستباح محارمه...وها أنا ذا ماض إلى ما تحبين، فإذا أنا قتلت فلا تحزنني علىَ وسلمي أمرك للله...

قالت: إنما أحزن عليك لو قتلت في باطل.

قال: كوني على ثقة بأن ابنك لم يتعمد إثبات منكر قط ولا عمل بفاحشة قط، ولم يجرُ في حكم الله، ولم يغدر في أمان ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد^(٤)، ولم يكن شيء عنده آخر من رضى الله عز وجل.

(١) جلدهم: صبرهم واحتمالهم.

(٢) أسارير وجهه: محاسن وجهه.

(٣) مناقبك: خلالك وخصالك وشمائلك.

(٤) المعاهد: النوى.

لا أقول ذلك تزكية لنفسي؛ فالله أعلم مني بي، وإنما قلته لادخل العزاء^(١)
على قلبك.

فقالت: الحمد لله الذي جعلك على ما يحب وأحب.

اقرب مني يا بني لأنتم راحتكم وأمس جسدك، فقد يكون هذا آخر العهد
بك.

فأكب عبد الله على يديها ورجلها يوسعهما لثما^(٢)، وأجالت هى أنفها فى
رأسه ووجهه وعنقه تشمم وتقبله، وأطلقت يديها تتلمس جسده، ثم ما لبست أن
ردتها عنده وهى تقول:

ما هذا الذى تلبسه يا عبد الله؟!

قال: درعى.

قالت: ما هذا يا بني لباس من يريد الشهادة.

قال: إنما لبسته لأطيب خاطرك، وأسكن قلبك.

قالت: انزعها عنك، فذلك أشد لحميتك^(٣) وأقوى لوثتك وأنخف حركتك،
ولكن إبس بدلاً منها سراويل مضاعفة^(٤)، حتى إذا صرعت لم تكشف عورتك.

نزع عبد الله بن الزبير درعه، وشد عليه سراويله، ومضى إلى الحرم لمواصلة
القتال وهو يقول: لا تفترى عن الدعاء يا أمه.

فرفعت كفيها إلى السماء وهى تقول: (اللهم ارحم طول قيامه وشدة نحيبه فى
سود الليل والناس نiam).

اللهم ارحم جوعه وظماء فى هواجر المدينة ومكة وهو صائم... .

(١) العزاء: الصبر.

(٢) يوسعهما لثما: يملؤهما تقليلاً.

(٣) أشد لحميتك: أقوى لنحوتك وشجاعتك.

(٤) مضاعفة: طوبيلة.

اللهم ارحم بره بأبيه وأمه . . .

اللهم إنى قد سلمته لأمرك، ورضيت بما قضيت له؛ فاثبى عليه ثواب
الصابرين.

لم تغرب شمس ذلك اليوم إلا كان عبد الله بن الزبير قد لحق بجوار ربه.
ولم ينضي على مصرعه غير بضعة عشر يوماً إلا كانت أمه اسماء بنت أبي
بكر قد لحقت به، وقد بلغت من العمر مائة عام، ولم يسقط لها سن ولا ضرس،
ولم يغب من عقلها شيء.

أفراح الموحدين بلذة القيام بالليل

بين يدي رب العالمين

قد ذكر الله عز وجل المجتهدین فی كتابه تبارك وتعالى: «كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ . وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ»^(١).

يروى عن الحسن أنه قال: كابدوا الليل، ومدوا الصلاة إلى السحر، ثم اجلسوا في الدعاء والاستكانة والاستغفار.

وقال سبحانه: «وَالَّذِينَ يَبَيِّنُونَ لِرَبِّهِمْ سُجْدًا وَقِيَامًا»^(٢). وقال عز وجل: «تَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبِّهِمْ خَوْفًا وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقَنَاهُمْ يُنْفِقُونَ»^(٣) أى تنبو عن الفرش فلا تستقر عليها ولا تثبت فيها، لخوف الوعيد ورجاء الموعود. ثم قال سبحانه: «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قُرْةَ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»^(٤) أخبر عز وجل أنه يؤتىهم قرة أعينهم وغاية أملهم: «جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»، بما تحملوه من سهرهم وما تركوه من لذذ نومهم.

وقال عز وجل: «أَمَّنْ هُوَ قَاتَ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذِرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابُ»^(٥).

المعنى: هل يستوي من هذه صفتة مع من نام ليه، وضيع نفسه، غير عالم بوعده ربه ولا بوعيده.

وصلى النبي ﷺ حتى تفطرت قدماء، أى تشقت، فقيل له: أتكلف هذا، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أَفَلَا أَكُونْ عَبْدًا شَكُورًا»^(٦).

(٢) الفرقان: ٦٤.

(١) الناريات: ١٧ ، ١٨.

(٤) السجدة: ١٧.

(٣) السجدة: ١٦.

(٥) الزمر: ٩.

(٦) الحديث: صحيح رواه البخاري في صحيحه، ومسلم في صحيحه، وأحمد في مسنده وغيرهم.

ولعل قائلاً يقول: هذا على طريق المبالغة والتأكيد وليس على طريق الحقيقة، فيقال له: بل هو على الحقيقة وهو على ظاهره، حتى يأتي ما يمنع منه وما ينقضه. فإن قال: لم يكن النبي عليه السلام يصلى الليل كله حتى يصييه هذا. قيل له: نعم كان عليه السلام يصلى منه كثيراً^(*).

قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَمِّلُ. قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا. نَصْفُهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا. أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾^(١).

فهذا وقته الذي كان يقوم فيه عليه السلام وكان يصلى إلى السحر، وإلى قرب الفجر، وكان عليه السلام يطول ويختفي.

وإن كنت أخي الموحد من لا يمكن له نوم بالنهار لعدة في المعيشة أو لغير ذلك من أشغال الدنيا ومحنها، وما ابتلى الإنسان به منها، فاجتهد أن تصلي ولو ركعتين خفيفتين قبل الفجر، فإن فيهما بركة، والقليل من صلاة الليل كثير.

قال أبو محمد الجرجري: قصدت الجنيد - رحمة الله تعالى - فوجده يصلى، فأطال جداً، فلما فرغ قلت له: قد كبرت ووهن عظمك ورق جلدك وضعفت قوتك، فلو أقصرت على بعض صلاتك - فقال: اسكت، طريق عرفنا به ربنا لا ينبغي لنا أن نقتصر منه على بعضه. والنفس ما حملتها تحمل، والصلاة صلة، والسجود قربة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْرُبْ﴾^(٢)، ومن ترك طريق القرب يوشك أن يسلك به طريق البعد، ثم أنسد:

وألزَمْتُ نَفْسِي هَجْرَهَا فَاسْتَمْرَتْ فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي عَلَى الذُّلُّ ذَلَّتِ فَإِنْ تُوقَنْ تَأْقَنْ وَإِلَّا تَسْلَتِ	صَبَرْتُ عن اللذات حتَّى تَوَلَّتْ وَكَانَتْ عَلَى الْأَيَامِ نَفْسِي عَزِيزَةَ وَمَا النَّفْسُ إِلَّا حِيثُ يَجْعَلُهَا الْفَتَى
--	---

وعن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبكيت مع رسول الله عليه السلام فأتيه بوضوءه وحاجته، فقال لي: «سل». فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة. فقال:

(*) راجع الصلاة - للخراط.

(1) المزمل: ١ - ٤.

(2) العلق: ١٩.

«أو غير ذلك؟» فقلت: هو ذاك. قال: «فأعنى على نفسك بكثرة السجود»^(١).

يقول الخراط: فها هو عليه السلام قد أمره بالسجود، ولم يحد له فيه حدأ، ولا ذكر له فيه عددا، إنما أمره بالتكبير منه والازدياد، ورغبة في الحد فيه والاجتهاد.

وكذلك حديث البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «ما تقرب إلىَّ عبدٌ بشيءٍ أحب إلىَّ من أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدٌ يتقارب إلىَّ بالنواقل حتى أحبه، فإن أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فوعزتني لئن سألني لأعطيه، ولئن استعاذني لأعيذه، وما ترددت عن شيءٍ أنا فاعله ترددٍ عن نفس عبدِ المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته»^(٢).

ويروى أن عبد الله بن مسروق القيروانى - وكان أحد الفقهاء - زار أبا جعفر القميودى - وكان أحد العابدين - فوجده يصلى، فأطال أبو جعفر الصلاة وأطال الرجل القعود، فلما خرج قال له: يا أبا جعفر، بأقل من هذا التعب وهذا التكلف تصل إلى المقصود، وتدرك المطلوب إن شاء الله - فقال له: يا مسكين، لو ذقت، الله أكبر، ثم عاد إلى صلاته يقول: لو ذقت لذتها ما لمت في التعب في الاستكثار منها.

وقال أبو سليمان الداراني: أهل الليل بليلهم أهل اللهو بلهوهم، ولو لا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا، ولو لم يعط الله تعالى أهل الليل في ثواب صلاتهم إلا ما يجدون من اللذة فيها لكان الذي أعطاهم أفضل من صلاتهم.

وقال بعض العلماء: ليس في الدنيا نعيم يشبه نعيم الجنة إلا ما يجده أهل الليل من طيب الصلاة ولذة المناجاة.

وأنشد بعضهم في ظلمة الليل:

(١) الحديث: صحيح رواه مسلم في صحيحه.

(٢) الحديث: صحيح رواه البخاري في صحيحه.

منها شُمُوسٌ ومنها فيه أقمارٌ
 ذاك المقام ومَوَلَاهُمْ لَهُمْ جَارٌ
 طوراً فَطُوراً وذاك الْقُدْسُ أطوارٌ
 فيها من العلم أشجارٌ وأنهارٌ
 عليهم بضرُوبِ اللَّحنِ أطيارٌ
 وطيب ما نزلوا وطيب ما شاؤوا
 وهي الأمانى وإن شئت بها الدارُ
 وفي العناية تخصيص وإيثارٌ
 وللظلام على الأجيافِ أستارٌ
 ماء يفيضُ وفي ينبوغه نارٌ
 خيلُ الرهانِ وهذهِ الدارِ مضمراً
 وهم مع الله إقبال وإدبارٌ
 أو يسكتُوا فاعتبارات وأفكارٌ
 وفي القلوب أعاجيب وأخبارٌ
 لذا التذكر أسماع وأبصارٌ
 ففى حديثهم شُرُبٌ وإسْكَارٌ
 تحت العجاج وجند الله أنصارٌ
 فى جَاحِمِ النَّارِ لم تقربهم النارُ

فى ظلمة الليل للعباد أنوارٌ
 تَسْرِى قلوبهم فى ضَوئهنَّ إلى
 يَرْقون فى درجاتِ كلها قُدْسٌ
 فينزلون رياضاً جَمَّةً أَنْفَا
 فِيَأَكْلُون وَيَشْرُبُون صَادِعَةً
 يَا طَيْبَ مَأْكُلَهُمْ وَطَيْبَ مَشْرِبَهُمْ
 هُوَ اللذَّادُ وإنْ عَزَّتْ مَطَالِبُهُ
 فازوا بها ورجالُ الله فائزَةٌ
 أَكْرَمَ بِهِمْ مِنْ رِجَالٍ لَوْ رَأَيْتُهُمْ
 رأيت أشباحَ قومٍ مُلْثِتَ عَجَباً
 خُمْصُ البطون من الدنيا كائِنُهُمْ
 تخالفهم ويک موتى لا حِراكَ بِهِمْ
 إنْ ينطِقُوا فتاولات وأذكارٌ
 وربما بهت الأقوامُ من عجب
 مستيقظين لذى الذكرى فكلهم
 حدَّثَ حديثَهُمْ اللَّهِ دَرَهُمْ
 مرروا إلى الله منشوراً لواؤهُمْ
 مُسْتَعْصِمِينَ بِمَوَلَاهِمْ فَلَوْ قَدِفُوا

ويقول الخرات: وقد كان طوائف من الصالحين يستقبلون الليل فيهولهم طوله،
 فيذهب عنهم وما قضاوه منه وطراً، ولا نالوا فيه إرباً، وهل كان هذا إلا لما يجدون
 من نفحات الرحمة، ويتنسمون من نسيم القربة، فلا يشتبهن عليك رحمك الله
 فتقعد أنت بطلاً بالنهار، جيفة ملقاة بالليل تقول: لا أصلى حتى أنشط للصلوة،

ولا أعمل حتى ألتذ بالعمل. نزاعاً منك إلى أولئك المجتهدين، وانتظاراً منك لليل منزلتهم والارتقاء إلى درجتهم بالتمني والرجاء الذي هو الغرور.

فإن أولئك لم يصلوا إلى تلك الدرجة إلا بعد قطع قلوبهم ونهاك نفوسهم، وتركهم ما يحبون، وبتحملهم ما يكرهون وما يبغضون.

وكان بعض الصالحين يأتى فراشه فيضع يده عليه ويقول: والله إنك للين، وإنك لوثير، وإن الرقاد عليك لشهي، وفراش فى الجنة ألين منك وأشهى، ثم يدعه ويقوم إلى صلاته، فإذا أعا فعل مثل ذلك أيضاً، ثم عاد إلى صلاته، فلا يزال كذلك حتى يصبح.

ويروى عن الفضيل بن عياض - رحمه الله - أنه قال: إنى لاستقبل الليل فيهولنى طوله، فأفتح القرآن فيفرغ وما قضيت نهمتى.

وقال أبو حازم: ما مرت بي ليلة إلا وأننا لم أقض نهمتى.

ولما نزل الموت بأبى الشعثاء بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: لم أشتُق من قيام الليل.

وكان محمد بن المنكدر كثير الصلة والبكاء فقالت له أمه: يا بني، إنى لأشتهى أن أراك نائماً، فقال لها: إنى لاستقبل الليل فيهولنى فيدركنى الصبح وما قضيت حاجتى. فاستعانت عليه بأبى حازم فدخل عليه فقال له: إن قيامك الليل يشق على أمك فإن رأيت أن تخفف فقال له: يا هذا، إن الليل إذا دخل على هالنى فأفتح البقرة فينقضى الليل وما انقضت نهمتى.

قال له: فبكاؤك؟ قال: أبكتنى آية من كتاب الله تعالى. قال: أى آية؟ قال: قوله سبحانه: ﴿وَيَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْسَبُونَ﴾^(١) فانهار أبو حازم فى البكاء معه، فقال أحد أقارب ابن المنكدر لأبى حازم: جتنا بك كى تهون عليه، فاحتاجت أنت من يهون عليك^(٢).

(١) الزمر: ٤٧.

(٢) راجع: الخلية لأبى نعيم، وصفة الصفوة ٩٠٨/٢.

وروى عن شداد بن أوس صاحب النبي عليهما السلام أنه كان إذا أتى فراشه يتقلّى عليه كالحبة في المقلّى، ثم يقول: اللهم إن ذكر جهنم منعني النوم، ثم يقوم إلى صلاته^(١):

وكان بالبصرة غلام اسمه صهيب، وكان يصلّى الليل كلّه، فقالت له سيدته: يا صهيب، إن صلاتك بالليل قد آذتني في شغلك بالنهار. فقال: يا سيدتي، إن صهيباً إذا ذكر جهنم لا يأتيه النوم.

ويروى أن بعض الصالحين قدم من سفر فوطئ له فراش، فوجده وثيراً ليناً فنام عليه حتى أصبح، وكان له حزب من الليل ففاته. فقال: لا جرم لا أنام على فراش بعد هذا أبداً.

وأنشد بعضهم:

وَإِنْ بَاتَ بُخْرَدَهَا مُنْيَرُهُ
لَوْجُهِكَّ وَالدُّجَى مَرْخَ سُتُورِه
أَخْسَى حُزْنَ مُصِيبَتِهِ كَبِيرِه
وَأَقْدَمَ فِي الْعِيَانِ وَفِي السَّرِيرِه
وَبَيْنَ شَوْوَنِهِ عَيْنَ غَزِيرَه
فَذَكْرَاهُ مُؤْجَجَةُ سَعِيرَه
تَبَيَّتْ لَهُ بِهِ عَيْنَ قَرِيرَه

أَلَا فَانْزَلْ عَنِ الْفُرْشِ الْوَثِيرَه
وَوَطَئَ مِنْ تُرَابِ الْأَرْضِ فُرْشَهُ
وَأَرْسَلَ دَمَعَ مَحْزُونِ مُصَابِهِ
تَغْلُلَ فِي الذَّنْبِ وَفِي الْخَطَايَا
فَبَاتَ بِقُلْبِهِ مِنْهَا اضْطَرَبَ
إِنْ يُطْفَأْ سَعِيرَهُ فِي فَوَادِي
وَمَنْ يَحْلُلْ بَوَادِي الذَّنْبِ أَنَّى

وروى أن إبليس تبدى ليعيى بن زكريا عليهما السلام وعليه معاليق، فقال له يعيى: ما هذه المعاليق؟ فقال له: هذه الشهوات التي أتصيد بها بني آدم. فقال له: هل وجدت لي فيها شيئاً؟ قال: نعم - شبتت ليلة فشققناك عن الصلاة بالليل. فقال يعيى عليه السلام: لا جرم لا أشبع بعدها أبداً. فقال إبليس: لا جرم، ولا

(١) راجع: الخلية - مصدر سابق . ٢٦٤.

(٢) راجع: الإحياء لأبي حامد بحث المولف.

نصحت أحداً بعدها أبداً^(١)

ويروى أن يحيى بن زكريا - عليهما السلام - شبع ليلة من خبز الشعير، فنام عن صلاته حتى أصبح، فأوحى الله عز وجل إليه: «يا يحيى، أوجدت داراً خيراً لك من داري؟! أم وجدت جواراً خيراً لك من جواري؟! فوعزتني لو اطلعت إلى الفردوس من إطلاعة لذاب شحملك، ولزهقت نفسك اشتياقاً - يعني إليها - ولو اطلعت إلى النار إطلاعة لبكث الصديد بعد الدموع، وللبست الحديد بعد المسوح»^(٢).

وقال مالك بن دينار: قالت ابنة الريبع بن خثيم لأبيها الريبع: يا أبا ما لم أرى الناس ينامون وأنت لا تنام؟ فقال لها: يا بنته: إن أباك يخاف البيات، يعني الموت، وكان الريبع هذا من القائمين بالليل.

وكان عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - إذا رأه قال: «ربُّشَرَ الْمُجْتَبِينَ» أما والله لو رأك محمد عليهما السلام لأحبك^(٣)، ويروى: لفرح بك.

ولما رأت أمه كثرة بكائه واجتهاده وما يصنع بنفسه قالت له: يا بني، لعلك قتلت قتيلاً فأنت تخاف أن تقتل به؟ قال لها: نعم. قالت: ومن هو حتى نطلب إلى أهله أن يغفروا لك ويتركوا حقهم قبلك؟ فوالله لو رأوا ما تلقى لرحموك ولرقوا لك. فقال: قتلت نفسي. يريد قتلها بالمعاصي والذنوب.

ويروى أنه حضر في بيته قبراً، فكان إذا وجد في نفسه قساوة دخل فيه، وكان يمثل نفسه أنه قد مات، وندم وسأل الرجعة فيقول: «رَبِّ ارْجِعُونِ. لَعَلَّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ»^(٤) ثم يجيب نفسه فيقول: قد رجعت يا رب، قد رجعت يا رب، فيرى فيه ذلك أيامًا، أى يرى فيه العياء، والاجتهد والكابة والحزن.

وكان عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله عليهما السلام إذا هدأت العيون قام،

(١) راجع: الإحياء - مداخل الشيطان - بتحقيق المؤلف، وتليس إيليس لابن الجوزي، والخلية لابن نعيم.

(٢) راجع: الإحياء - بتحقيق المؤلف - باب مداخل الشيطان.

(٣) راجع: صفة الصفة لابن الجوزي، والخلية لابن نعيم.

(٤) المؤمنون: ٩٩، ١٠٠.

وقال ذو النون المصري - رحمة الله - : كنت مرابطًا بالإسكندرية مع جماعة من إخوانى وكان فىنا فتى لا ينام، وكان فى أعلى المحرس، فإذا أجهنه الليل أشرف علينا ثم نادى:

يُخْبِرُهُ بِالْحَقِّ إِذْ يَنْصَحُ
لِمَنْ بُهْجَرَانِ الْكَرَى يَسْمَحُ
عَنْ بَابِ ذِي الْإِفْضَالِ لَا يَبْرُحُ

أَلَا فَتَى يَقْبِلُ مِنْ نَاصِحٍ
فَإِنَّ جَنَّاتِ الْعَلَى رُؤْيَتِ
لِكُلِّ عَبْدٍ قَامَ فِي لَيْلَةٍ

فَيُسَمِّعُ لَهُ دَوْيَ كَدْوَى النَّحْلِ حَتَّى يَصْبَحَ^(۱)

ثم ينصرف إلى محاربه، فإذا انتصف الليل أشرف علينا ثانية، ثم نادى:

وَقَامَ مَنْ يَبْغِي الرُّضَا وَالْغِنَا
وَاسْتَعْذَبَ الْخَدْمَةَ لَا خَلَا
يَشْكُو إِلَيْهِ نَفْسَهُ أَمَارَةً
قَدْ أَدْبَرَ اللَّيلُ وَطَابَ الْكَرَى

وَبَانَ لِلْمُتَعْبِ رَاحَاتُهُ

ثم ينصرف إلى محاربه، حتى إذا انفجر عمود الصبح أشرف، ثم نادى:

لِيَهْنَكُمْ يَا خُوتَى كُلُّكُمْ فَقَدْ
وَزَادَكُمْ بِرًا وَإِصْلَاحًا
هَذَا عَمُودُ الصُّبْحِ قَدْ لَاحَ
لَا ضَيْعَ اللَّهُ لَكُمْ سَعِينَكُمْ

قُومُوا إِلَى فَرْضِكُمْ وَاعْجِلُوا

وفي بعض المواقع: يا بن آدم، بقيام الليل يudo أجرك، ويربي ذندك، ويثبت مجدك، فإذاك أن تهد بالكسل بنيانه، وتسقط الملل إيوانه، فيخرب منك ما لم يعمر، ويتصدع منك ما لا يجبر، وتخسر من بضائعك أعم ما يخسر، وأنشد بعضهم:

وَأَيْ مَجْدٍ هَذِهِ أَبْيَاتُهُ
وَسَدَّاً بِالْخَدْمَةِ أَوْقَاتُهُ
لَهُرَمَ النَّوْمَ عَلَى جَفْنِهِ
لَوْ يَعْلَمُ الرَّاقِدُ مَا فَاتَهُ

(۱) راجع: الإحياء بتحقيق المؤلف.

وأرسلَ الدمعة ممزوجةَ
ضيئَّ فيه الحظُّ من ربِّه
من درجات ثُبُّتْ في العُلَى
ومن يَرُّمْ تلك المَعَالِي غَدًا
على مبيت طالَ مَا بَانَهُ
ولَمْ يُبَالِ بالذِّي فَاتَهُ
تَحْكُمُ فِي الْفَرْدَوْسِ إِثْبَاتَهُ
يَطْلُبُ إِلَيْهَا الْيَوْمَ إِعْنَاثَهُ

ويروى أنَّ عمرَ بنَ الخطَابَ - رضيَ اللهُ عنْهُ - قالَ لِمَعاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفِيَانَ: لَنْ
غَمَتِ النَّهَارُ لِأَضَيْعِنَ الرُّعْيَةَ، وَلَنْ غَمَتِ اللَّيلُ لِأَضَيْعِنَ نَفْسِيَّ، فَكَيْفَ لِي بِالنَّوْمِ -
مَعَ هَذِينَ؟!

قالَ ابنُ الْخَرَاطِ^(١): يُرِيدُ رضيَ اللهُ عنْهُ أَنَّهُ كَانَ لَا يَنْامُ إِلَّا قَلِيلًا، وَلَا يَنْامُ
حَتَّى يَغْلِبَ النَّوْمَ، وَالنَّوْمُ غَالِبٌ.

وَكَانَ الْحَسْنُ بْنُ حَمْزَةَ عَلَى بْنَ حَمْزَةَ فَمَاتَ أَمْهَمَا فَكَانَ الْحَسْنُ وَعَلَى يَقْوَمَانِ بِهِ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى فَكَانَ الْحَسْنُ يَقْوَمُ بِهِ،
وَرَثَ عَنْهُمَا مَا كَانَ لَهُمَا مِنَ الصَّلَاةِ كَمَا يَرِثُ الْإِنْسَانُ مَا لَأَبِيهِ وَأَخِيهِ.

وَاشْتَرَى الْحَسْنُ هَذَا جَارِيَةً مِنْ قَوْمٍ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ جَوْفِ الْلَّيلِ قَامَتْ،
فَقَالَتْ: يَا أَهْلَ الدَّارِ الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ، فَقَالُوا لَهَا: أَصْبَحْنَا، أَطْلَعَ الْفَجْرَ، فَقَالَتْ:
أَوْ مَا تَصْلُونَ إِلَّا الصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ. ثُمَّ مَرَتْ إِلَى سَيِّدِهَا فَقَالَتْ لَهُ: يَا سَيِّدِي بَعْتَنِي
مِنْ قَوْمٍ لَا يَصْلُونَ بِاللَّيلِ رَدْنِي فَرَدَهَا.

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ: كَانَ عَطَاءُ الْخَرَاسَانِيُّ يَحْمِيُ اللَّيلَ، فَإِذَا مَضَى مِنْهُ
ثُلَّهُ أَوْ أَكْثَرَ نَادَى: يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ يَزِيدَ، يَا فَلَانَ، يَا فَلَانَ، قَوْمُوا فَوْتُصُورُوا
وَصُلُوا، فَإِنَّ صَلَاةَ هَذَا اللَّيلَ أَهُونَ مِنْ شَرْبِ الصَّدِيدَ، وَلِبْسِ مَقْطَعَاتِ الْحَدِيدَ،
الْإِسْرَاعِ الْإِسْرَاعِ النَّجَا النَّجَا. زَادَ غَيْرُهُ فِي هَذَا: فَإِذَا قَالَ هَذَا سَمِعْتُ مِنْ هَاهُنَا
مَتَوْضِثًا، وَمِنْ هَاهُنَا مَصْلِيًّا، وَمِنْ هَاهُنَا باكِيًّا.

كَانَ صَلَةُ بْنُ أَشْيَمِ مِنَ الْعَبَادِ الْمُجَتَهِدِينَ، كَانَ مِنْ أَهْلِ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ، قَالَ وَالَّدُ

(١) راجع: كِتَابُ الصَّلَاةِ وَالْتَّهَجِيدِ لِابْنِ الْخَرَاطِ صِ ٣١٥.

العبدى: كنت فى غزوة كابل وكان فى الجيش صلة بن أشيم، فلما أمسينا راكتب أن أبصر ما يوصف عنه من المجاهدة، فلما هدأت العيون خرج عن الجيش وكان فى طرف منه، فتبعته فتوضاً، ثم وقف يصلى فجاء أسد فريض بين يديه، فصعدت شجرة خوفاً منه، فلم يزل كذلك يصلى إلى قريب من الصبح والأسد رابض بين يديه، فلما سلم قال: أيها الأسد: انصرف واطلب الرزق من عند غيرنا، فانصرف الأسد، ثم سجد سجدة طويلة حتى حسبت أنه قد مات فى سجوده.

ثم رفع رأسه وهو يبكي بكاء الشكلى ويتمايل كالسکران، فحمد الله بـ محمد لم أسمع بمثلها ولا أعمل فى القلوب منها، ثم قال: إلهى إن طائفه استجاروا بك من نارك فأجرتهم، وطائفه سالوك جنتك فأعطيتهم، وطائفه طلبوك فلم يرضوا بغيرك وقالوا: من طلب المخلوق بقى مع المخلوق، فكن لهم كما أرادوا ولا تصحن عن شكر محبتك إلا بمشاهدتك، ولا تختم لى حلاوة عبادتك إلا بمجاوزتك.

ثم رجع وأصبح كأنه بات على الحشایا، وأصبحت أنا وبي من فترة السهر وكسله ما الله به عليم^(١).

وقد قيل: يا ابن آدم، اهجر فراشك، فإن الفرش غداً أمامك. وأنشدوا:

وكان منصور بن العتمر من القانتين، وكان يصوم النهار ويقوم الليل، وكانت	اهجر فراشكَ جَوْفَ الليل وارم به
فِي الْقُبُورِ إِذَا وَافَيْتَهَا فِرْشُ	مَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَهَا فُرْشًا مُرْقَشَةً
أَوْ رَمْضَةً فَوْقَهَا الْمَسْمُومَةُ الرُّقْشُ	هَذَا عَلَيْهِ قَرِيرُ الْعَيْنِ نَائِمُهَا
وَذَا عَلَيْهِ سَخِينُ الْعَيْنِ يُنْتَهِشُ	شَتَّانَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ حَالِهِمَا
هَلْ يَسْتَوِي الرَّىُ فِي الْأَحْشَاءِ وَالْعَطْشُ	فَبَادَرَ الصَّبَحُ أَنْ تَغْشِي طَلَائِهِ
وَيَلْتَقِي الْحَيَانُ الرُّومُ وَالْحَبْشُ	كُمْ فَازَ دُونَكَ بِاللَّذَّاتِ مِنْ رَجُلٍ
وَافِي بِهِ دُلْجَ الْأَسْحَارِ وَالْغَبْشِ	

(١) راجع: الصلاة والتهجد - مصدر سابق ونقله من الخلية لأبي نعيم والزهد لابن المبارك.

قاموا ونِمْنَا وَكُلُّ فِي تَقْلِبِهِ
لنفسه جاهداً يَسْعَى ويَحْتُوشُ
ذَكَّوَا نُفُوسَهُمْ بِكُلِّ صَالِحةٍ
وطَيِّبَهَا فَلَا عِيبٌ وَلَا وَقْشٌ

له جارة تصعد إلى سطح لها كل ليلة ومعها ابنة لها جارية بكر، وتصعد بعدها
ينام الناس وتنزل في آخر الليل، وكانت الجارية ترى منصوراً قائماً يصلى، فلما
مات فقدته، فقالت لأمها: يا أماه، ما فعل الجذع الذي كان قائماً هنالك؟ فقالت
لها: يا بنية، ما كان جذعاً، إنما كان منصور بن المعتمر، كان يحيى الليل كله
بركعة على قدم، وكان يحيى كل ليلة. فقالت لها: يا أماه، بلغت به العبادة
والفرق من النار هذا المبلغ؟ وأنا أتعاهد هذه القائمة منذ كذا وكذا، وأنت تقولين:
هو منصور. فما فعل؟ ما لى لا أراه؟ قالت لها: مات ودفنه رحمه الله.

قالت لها: يا أماه، انطلقى فاشترى لي مدرعة من شعر أتعبد فيها لله عز
وجل، فوالله لا يجتمع رأسى ورأسى رجل أبداً، هذا منصور رجل لم يكن ينام
الليل عشرين سنة، فرقاً من النار. اشتري لي. فاشترت لها مدرعة من شعر،
وكانت لها أخت فساعدتها على العبادة، فتعبدتا عشرين سنة تقومان الليل
وتتصومان النهار حتى ماتتا رحمة الله عليهما.

وكان همام بن الحارث من القائمين بالليل، كان لا ينام إلا هنيةة ينامها جالساً
إذا غلبه النوم وكان يقول في سجوده: اللهم اشفني من النوم باليسير، واجعل
سهرى في طاعتك:

يَا رَاقِدَ اللَّيلَ عَلَى طُولِهِ
كَمْ مِنْ أَهِيمَ لَا يَرْقُدُ
خُوفُهُ بِهِ يَسُومُ الْفَتَى يَشَرِّدُ
قد شرد النوم على أجفانه
مُنْتَظَرٌ مَا مِثْلُهُ مَوْعِدٌ
هَيَّجَهُ مِنْ رَبِّهِ مَوْعِدٌ
مُؤْقِدُهَا مِنْ ذَكْرِهِ تُوقَدُ الدَّمْعُ
فَبَاتٌ فِي أَضْلَعِهِ جَمْرَةٌ
قَدْ يَزْجُهُ الْمَكْمُدُ
وَدَمْعَهُ يَنْزِلُ مَمْزُوجَةً

يَا مُوقِدُ النَّارِ بذَاتِ الغضى
دُونَكْ ناراً أينَ تكُنْ توقدُ
إِنْ خمدتْ نارَ فلَا تَخْمُدُ
وأنتْ يَا غافِلْ فِي نَوْمَةِ
مَا نَامَهَا ذُو نَهْيَةِ أَبْدٍ
وَيْكَ يَتَقْظِي فَسِهَامُ الرَّدَى
تَقْصِدُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَقْصِدُ
ولَنْقُطْ اللَّيلَ إِذَا مَا دَجَا
تَقْرَأُ أَوْ تَرْكَعُ أَوْ تَسْجُدُ
وَإِنْ نَفْتْ مِنْ جَوْفِهِ نَوْمَةَ
فَرُبَّمَا فَاتَكَ مَا تَجَهَّدُ
وَاصْبِرْ مَعَ اللَّهِ عَلَى فَقْدِهَا

من أخبار النساء

العبدات في قيام الليل^(١)

كانت حبيبة العدوية من العابدات المجتهدات، وكانت إذا صلت العتمة قامت على سطح لها، وشدت عليها درعها وخمارها، وقالت: إِنَّهِ نامت العيون، وغلقت الملوك أبوابها وأرسلت عليها حجابها، وخلال كل حبيب بحبيبه، وهذا مقامى بين يديك. ثم تقبل على صلاتها فإذا طلع الفجر قالت: إِنَّهِ هذا الليل قد أدرك، وهذا الفجر قد أسفـرـ، فـيا لـيـتـ شـعـرـيـ هـلـ قـبـلـتـ مـنـ لـيـلـتـ فـاهـنـاـ، أمـ رـدـدـتـهـاـ عـلـىـ فـاعـزـتـكـ لـهـذـاـ دـأـبـيـ، ولو انتهرتـيـ مـنـ بـابـكـ لـاـ بـرـحـتـهـ لـاـ وـقـعـ فـيـ نـفـسـيـ مـنـ كـرـمـكـ.

وكانت عجردة من العابدات، وكانت تحبى الليل كله، وكانت عمياً فإذا كان السحر نادت بصوت لها محزون: إِلـيـكـ قـطـعـ العـابـدـوـنـ دـجـىـ اللـيـلـ، يـسـبـقـوـنـ إـلـىـ رـحـمـتـكـ، وـيـسـارـعـوـنـ إـلـىـ مـغـفـرـتـكـ، فـبـكـ أـسـأـلـكـ إـنـهـيـ لـاـ بـغـيـرـكـ أـنـ تـجـعـلـنـيـ فـيـ أـوـلـ زـمـرـةـ السـابـقـيـنـ، وـأـنـ تـرـفـعـنـيـ لـدـيـكـ فـيـ درـجـةـ الـقـرـبـيـنـ، وـأـنـ تـلـحـقـنـيـ بـعـبـادـكـ الصـالـحـيـنـ، وـأـنـ تـأـرـحـمـ الـرـحـمـاءـ، وـأـكـرـمـ الـكـرـمـاءـ، وـأـعـظـمـ الـعـظـمـاءـ. ثـمـ تـخـرـ سـاجـدـةـ، فـلـاـ تـرـازـ تـبـكـيـ وـتـدـعـوـ حـتـىـ يـطـلـعـ الـفـجـرـ.

وَمَا كَذَا ذُو بَصِيرَةِ رَقْدًا
مِنْ أَنْ تَرَىْ غُرَّةَ الصَّبَاحِ غَدَّاً
إِنْ هُوَ إِيَّاكُمْ بِهَا فَصَدَا
فِي نَوْمِهِ ذَاكَ مِنْ سَهْمِ رَدَا
إِلَىْ إِلَىْ غُصَّةِ لِغَيْرِ مَدَا
يَدَاهِ إِلَىْ تَنْفُسِ الصُّعْدَا
أَكْبَادِهِ عَنْدَ ذَاكُمْ كَمَدَا

يَا رَاقِدُ اللَّيْلِ مَلِءُ مَقْلَتِهِ
هَلْ أَنْتَ مِنْ صَرْفِهِ عَلَىْ ثَقَةِ
أَوْ هَلْ تَخَلَّصْتَ مِنْ مَكَارِهِ
هَيَهَاتَ كَمْ نَائِمْ قَدْ أَفْصَدَهِ
فَلَمْ يَفْقَدْ مِنْ لَذِيدِ رَقْدَتِهِ
وَلَمْ يَجِدْ مِنْ جَمِيعِ مَا ذَخَرَتْ
وَحْسَرَةً فِي الْفَضْلَوْعِ قَدْ صَدَعَتْ

(١) راجع: الصلة - مصدر سابق - لابن المطراط.

قَدْ مَدَ رِجْلًا لِأَخْذِهِ وَيَدًا
 وَالنُّومُ فَوْقَ الْجَفُونِ قَدْ رَكَدَا
 تَأْكُلُ مِنْكَ الْفَوَادَ وَالْكَبْدَا
 مِنْ قَلْبِ حَرَآنَ فَارِقَ الْجَلْدَا
 وَأَوْحَشَ الْأَهْلَ مِنْهُ وَالْوَلْدَا
 جَارٍ عَلَى الْخَلْقِ دَائِمًا أَبْدَا
 وَلَيْسَ إِلَّا جَزَاؤُهُ مُعْتَمِدًا
 فِيَا نَؤُومًا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ
 وَيُنْكَ يَيْقَطُ وَاللَّيلُ فِي سَعَةٍ
 وَاقْدَحْ بِجَنْبِيكَ نَارَ تَذَكِرَةٍ
 وَامْزَجْ بِخَدِيَّكَ دَمْعَةً بَدْمَ
 قَدْ تَرَكَ الدَّارَ مِنْهُ مَغْفَرَةٍ
 وَأَضْرَعْ لَمَنْ جُودَهُ وَنَائِلَهُ
 فَلَيْسَ إِلَّا رَجَاءُهُ أَمَلَا

وكانت معاذة العدوية تحبى الليل كله، وكانت تلبس في البرد ثياباً رقاقة ليصييها البرد فيمنعها النوم، وكانت إذا جاءها الليل قالت: هذه ليلى أموت فيها، فما تنايم فيها فإذا غلبتها النوم جالت في الدار وهي تقول: يا نفسي، النوم أمامك، لو قدِمتْ لطالت رقدتك في قبرك، إما على حسرة أو سرور.

ويروى أنها لم تتوسد فراشاً بعد زوجها أبي الصهباء حتى ماتت، وكانت تقول: عجبًا لعين تنايم، وقد علمت طول الرقاد في ظلمة القبور.

وقالت عبدة بنت أبي سؤال - وكانت من خيار إماء الله: كانت رابعة العدوية تصلي بالليل، فإذا طلع الفجر هجعت في مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر. فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من رقدتها: ويلك يا نفسي، إلى كم تنايمين؟ وإلى كم ترقددين؟ أوشك أن تنايم نومة لا تقومين منها إلا بصرخة الشور.

قالت عبدة: فكان هذا دأبها دهرها حتى ماتت، فلما حضرتها الوفاة دعنتى فقالت: يا عبدة، لا تؤذنى بموتي أحداً، وكفنيني في جبى هذه - لجبة من شعر كانت تصلي فيها من الليل - فكفتناها في تلك الجبة، وفي خمار صوف كانت تلبسه - رحمة الله عليها.

وكانت منيفة العابدة إذا هجم الليل قالت: يا نفسي، قد جاء سرور المؤمنين، فتقوم في محرابها كأنها الجذع القائم حتى تصبيع، فإذا أصبحت وأمكنت الصلاة

قامت تصلى فهى فى صلاة إلى العصر، فإذا صلت العصر نامت، فكان ذلك دأبها. فقيل لها: لو جعلت هذه النومة بالليل كان أهداً لبدنك، فقالت: والله لا أنام فى ظلمة الليل أبداً. فكان ذلك دأبها أربعين سنة حتى ماتت - رحمة الله عليها، وكانت تسكن البحرين.

وكانت عجردة العابدة إذا جاء الليل لبست ثيابها وتنقعت ثم دخلت محرابها فصلت إلى السحر، ثم قعدت تدعوا إلى الفجر، فقال لها بعض أهل الدار: لو نمت شيئاً. فبكـت وقالـت: ذـكر الموت لا يـدعـنـى أنـانـامـ.

المراة العابدة

جاء موقوفاً على اليافعى : أن امرأة من بنى إسرائيل كانت تصوم النهار وتقوم الليل الله الواحد القهار سكنت بجوار قصر ملك ظالم .. وكانت دارها تشين قصر الملك ، وكلما رأى الملك منها أن تبكي له الدار أبى أن تبكي له - (وكأنها كانت تقول في نفسها: حتى إذا نظر الله إلى قصر الظالم اشتد غضبه وإذا نظر إلى دارى رضى لأننى أكثُر من ذكر الله) - وخرجت ذات يوم في سفر ، فأمر الملك بهدمها فلما جاءت المرأة من السفر قالت : من هدم داري؟ قيل لها: الملك . فرفعت طرفها إلى السماء ، وقالت: إلهى وسيدي ومولاي : غبت أنا وأنت حاضر للضعف معين ، وللمظلوم ناصر ، ثم جلست تبكي ، فخرج الملك في موكيه ، فلما نظر إليها قال لها: ما تنتظرين؟

قالت: خراب قصرك . فهزأ بقولها وضحك منها . فقامت الليل تدعوه عليه ، فلما جَنَّ الليل خُسِفَ به ويقصره . وقام الناس في الصباح فرأوا مكتوبًا على الجدر المحطمة :

وَمَا يَدْرِيكَ مَا صَنَعَ الدُّعَاءُ؟	أَتَهْزَأُ بِالدُّعَاءِ وَتَزْدَرِيهِ
لَهَا أَمْدٌ وَلِلْأَمْدِ انْقِضَاءٌ	سَهَامُ اللَّيْلِ لَا تَخْطُئُ وَلَكِنْ
فَمَا لِلْمَلِكِ عِنْدَكُمْ بَقَاءٌ	وَقَدْ شَاءَ إِلَهُكُمْ بِمَا تَرَاهُ

المراة الصالحة والبينة

امرأة صالحة - كانت تقوم الليل ، تناجي زبها ، وتنظر في آياته ومخلوقاته ، مات زوجها بمدينة «بيلخ» فانتقلت في مدينة «سمرقند» بعد وفاة زوجها ، فجعلت أولادها في المسجد ، وخرجت تطلب عملاً لا حرمة فيه تقتات منه هي وأولادها ، لكنها لم تجد ، فرأت كبير البلدة من المسلمين فقالت له أنا امرأة مسلمة شريفة ، وأريد منك طعاماً لأولادي . لكن الرجل كان بخيلاً - فقال لها: أقيمي عندي البينة على أنك مسلمة شريفة . قالت وكيف وأنا غريبة ولا أعرف أحداً هنا ومعي أطفالى الصغار؟ فأعرض عنها . فرأها مجوسى من أهل بلدة وهي لا تعلم أنه مجوسى ، فأخبرته بأمرها - فأكررها وأخذها إلى داره هي وأطفالها . فلماً كان الليل (قامت تصلي بالليل وتقرأ القرآن) - سمع الرجل وأهله منها القرآن فعجبوا ثم اجتمعوا - (الرجل وزوجته وأولاده) - حولها - وقالوا لها: أخبرينا عن الإسلام ، فأخذت تكلمهم عن الدين ، في هذا الوقت نام الرجل للمسلم البخيل الذي رفض ضيافتها رأى النبي ﷺ في منامه وبجواره قصر فقال: يا رسول الله: من هذا القصر؟ فقال النبي ﷺ : لرجل مسلم موحد . فقال: أنا مسلم موحد . فقال له النبي ﷺ : أقم عندي البينة على أنك مسلم موحد . قال: أنا مسلم يا رسول الله قال له النبي ﷺ أنت المرأة المسلمة الشريفة تسألك طعاماً لأولادها فتقول لها: أقيمي عندي البينة! واستيقظ الرجل من نومه حزيناً يسأل عن هذه المرأة ، فعلم أنها عند المجوسى ، فذهب إليه وقال له: أريد المرأة المسلمة . قال له المجوسى: لا . فقال له: أعطني المرأة وخذ ألف دينار . فقال له المجوسى: والله لا أبيع قصراً بين يدي رسول الله بالف دينار ، وما نعمت البارحة حتى أسلمت أنا وأهل بيتي جميعاً على يديها ، ورأيت مثل ما رأيت أنت . وقال لي النبي ﷺ :

«أنت وأهلك في الجنة».

العايدة الطبرية

وكان بطبرية امرأة يقال لها « زينب » غلبتها النوم في بعض الليالي - ولم تستطع قيام تلك الليلة فسمعت قائلًا يقول:

صلاتك نور والعبادة نورٌ فقوى فصلى والعباد رقود

فقمت فصلت، وحدث يوماً أن إندق أصبعها - (أى قطع) - فاجتمع عندها الأهل والأقارب يعزونها في أصبعها، فشخصت بصرها إلى السماء وقالت: لذة التواب شغلتني عن وجع الأصبع - ثم جنَّ الليل - وأرادت أن تصرف الناس من المجلس حتى تتمكن من الصلاة فقالت: أيها الناس : وهب الله لي ولكلم الرضا والعفو عمَّا مضى ، وقوموا نخدم من الطريق إليه غدًا.

العايدة المباركة

قال عبد الله الواسطي - رحمه الله - رأيت امرأة على عرفات وهي تقول وتكرر: ﴿مَنْ يَهِدَ اللَّهُ فَلَا مُضْلَلٌ لَهُ وَمَنْ يُضْلَلُ فَلَا هَادِي لَهُ﴾ فعلمت أنها ضالة - صلت الطريق.

فقلت: أيتها المرأة: من أين أقبلت؟

قالت: ﴿سَبَحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعْدِهِ لِيَلَالَ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ فعلمت أنها من بيت المقدس.

فقلت: ما الذي جاء بك؟

قالت: ﴿وَلَهُ عَلَى النَّاسِ حِجَّةُ الْبَيْتِ مِنْ أَسْتِطَاعَةِ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾.

فقلت: أتركتين على بغير؟

قالت: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ فلما أرادت الركوب قالت: ﴿فَلَلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ فأعرضت عنها - فلَمَّا رَكِبَتْ، قلت لها: ما اسمك؟

قالت: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرِيمًا﴾.

قلت لها: أللّك أولاد؟

قالت: «ووووصَّ بها إبراهيم بنِه» فلَمَّا أَنْ لَهَا أَوْلَادًا قَلَتْ: «وَمَا أَسْمَاؤُهُمْ؟» .

قالت: «وَكَلَمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا»، «وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا»، «يَادَاوِدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ».

فَقَلَتْ لَهَا: فِي أَيِّ عَمَلٍ هُمْ؟

قالت: «وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ» عَلِمَتْ أَنَّهُمْ أَدْلَةُ الرَّكْبِ .

فَقَلَتْ: يَا مَرِيمَ - أَتَأْكِلُنَّ؟

قالت: «إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صُومَّاً» فَلَمَّا وَصَلَنَا إِلَى أَوْلَادِهَا وَرَأَوْا أُمَّهُمْ بَكُوا وَقَالُوا: هَذِهِ أُمَّنَا قَدْ ضَلَّتْ مِنْذِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَقَدْ نَذَرْتِ أَلَا تَتَكَلَّمِ إِلَّا بِالْقُرْآنِ .

فَقَالَتْ وَهِيَ تَبْكِي: «فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بُورْقَمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلِيَأْتِنَا بِرَزْقٍ...» .

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ رَأَيْتُهُمْ وَهُمْ يَبْكُونَ، فَسَأَلْتُهُمْ عَنِ السَّبِبِ فَقَالُوا:

«إِنَّ أُمَّنَا تَوْتَ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهَا وَسَأَلَتْهَا عَنْ حَالِهَا فَقَالَتْ وَهِيَ تَبْكِيُّ، وَقَدْ اشْتَدَّ نَحْبِبُهَا، وَتَنْتَظِرُ إِلَى السَّمَاءِ: «وَجَاءَتْ سَكَرَّةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ» فَلَمَّا مَاتَتْ رَأْيَتُهَا فِي الْمَنَامِ، فَقَلَتْ لَهَا: أَيْنَ أَنْتُ؟ قَالَتْ: «إِنَّ الْمُتَقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ. فِي مَقْعَدٍ صَدِيقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ» .

والدة البخارى

كان البخارى يتيمًا - يقول الحافظ ^(١): ومات «إسماعيل» والد البخارى - و Mohammad صغير - فنشأ في حجر أمه (وكانت صالحة تقية قوامة «تقوم الليل») وكانت عابدة صاحبة كرامات .

روى غنجار في تاريخ بخارى، واللالكائى في «شرح السنة» في باب:

(١) ذكره الحافظ في هدى الساري (٥٠٢) وما بين الأقواس يعد توضيحاً من عندنا.

«كرامات الأولياء» من - أن «محمد بن إسماعيل» ذهبت عيناه في صغره، فكانت أمّه تكثر الدعاء له في صلاتها وفي قيامها بالليل وفي كافة أوقاتها - وتتضرع إلى الله، فرأته والدته - الخليل «إبراهيم» عليه السلام في المنام، فقال لها: ياهذه قد رد الله على ابنك بصره بكثرة دعائك. قال: فأصبح وقد رد الله عليه بصره.

عبد البصرة

قام الليل ثم استراح قليلاً، ثم قام فصلى الصبح - وخرج لقضاء حاجته واقترب موعد الجمعة . فخرج متوجهًا إلى مسجد البصرة كي يصلى الجمعة . وكان قد ضل حماره، ودقائقه في الطاحون ودخلت نوبة سقى أرضه، فتفكر في نفسه وقال: إن ذهبت إلى الجمعة فاتتني هذه الأعمال، ثم قال: عمل الآخرة أولى وأبقى. فذهب إلى الجمعة وما رجع وجد أرضه قد سقطت، ورجع حماره، وأمرأته تخبز. فسأل امرأته فقالت:

وقت آذان الجمعة - سمعت طرقاً على الباب ففتحته فإذا الحمار أمام الدار فدخل . وأما الأرض فإن الملائكة لأرضنا أراد سقى أرضه ، فنام، فانفجرت المياه فسقت أرضنا . وأما الدقيق في الطاحون ، فإنه كان جارنا دقيق في الطاحون فذهب ليأتي به فأخذ طحناً فحمل جوالقنا ، فلما جاء بها إلى بيته عرفها، فدفعها لنا، فرفع الرجل رأسه وهو يبكي - (إلى السماء) - ثم قال: يارب قضيت لك واحدة فقضيت لي ثلاثة - فلك الحمد حتى ترضى^(١) .

(١) مصباح: (٣٢).

عطية بن خلف

قيل^(١): إنه كان بمصر رجل تاجر في التمر يقال له: «عطية بن خلف» وكان من أهل الثروة، ثم افتقر، ولم يبق له سوى ثوب يستر به عورته، فلما كان يوم «عاشراء» صلَّى الصبح في جامع عمرو بن العاص ومن عادته أن يخرج بعد الصلاة ليمشي في الطرق فترة، ومشي يدعوا الله، فجاءته امرأته ومعها أطفال أيتام وقالت: يا سيدي سألك بالله إلا ما فرجت عنِّي، وأثرتني بشيء أستعين به على قوت هؤلاء الأطفال فقد مات أبوهم وما ترك لهم شيئاً، وأنا امرأة شريفة ولا أعرف أحداً أقصده، وما خرجت في هذا اليوم إلا لضرورة، فقال الرجل في نفسه: أنا ما أملك شيئاً، وليس عندي غير هذا الثوب الوحيد، إن خلعته انكشفت عورتي وإن ردتها فمَا عذر لي عند الله ورسوله (وكان عطية يقيم الليل لا يتركه إلا لعندر)

قال لها: إذهببي معى حتى أعطيك شيئاً، فذهببت معه إلى منزله، فأوقها على الباب، ودخل وخلع ثوبه، وإتزر بخلق كانت عنده، ثم ناولها الثوب من شق الباب فقالت له: «ألبسك الله من حل الجنَّة، ولا أحوجك بعد الليلة». وأغلق عطية الباب - وأخذ يفكر كي يخرج في الصباح، وليس عنده ما يوارى عورته؟ فقام فتوضاً، ثم صلَّى، ثم نام فرأى في المنام «حوراء لم ير الراءون أحسن منها»، وناولته حلة من حل الجنَّة، وأطعمته من فاكهة الجنَّة. فلما استيقظ بكى كثيراً، ورفع يديه إلى السماء وقال: إلهي: أرسلت إلى المرأة فاكرمتها من أجلك ، وواظبت على قيام الليل والناس نيام من أجلك - إلهي قد أريتني ما عندك - وقد دعت لي المرأة: لا تحوجنِي إلى أحد بعد الليلة. وأنا ما أجد ما أستر به عورتي .

فما فرغ من دعائه حتى فاضت روحه إلى بارئها - رحمه الله - .

(٢) الروض: (٢١٣ - ٢١٤).

الغلام العابد

يقول عبد الله بن واسان: مشيت ذات يوم في أحد أزقة الكوفة، فرأيت غلاماً صغيراً يبكي، فقلت له: ما يُبكيك يا غلام؟
قال: خَوْفاً من الله.

قلت: أنت مسلم وتخشى الله؟ قال: أنا مسلم أصلى، وأصوم وأقوم ببعض الليل خَوْفاً من الله.
قال: وما الذي خَوْفَك هكذا؟

قال الغلام: جلست بجوار أمي وهي توقد النار، فرأيتها تقدم الحطب الصغار على الكبار، فقلت لها: يا أماه - لماذا تقدمين الصغار على الكبار؟ قالت: ولدى لأن الكبار لا تشتعل إلا بالصغار. فهذا الذي أحرق كبدى ولو عنى.

العبد الصغير (*)

ويروى عن بكر العابد قال: تعبد شاب صغير من أهل الشام، فبلغ في العبادة والاجتهد فقالت له أمه: يا بني، عملت بنفسك ما لم يعمله أحد من الناس، أما ت يريد أن تنام في ليل ولا نهار؟! فقال لا: يا أماه، ليتك كنت بي عقيراً، ليتك لم تلديني يا أماه، إن لابنك في القبر رقاداً طويلاً، وفي عرصات القيمة موقفاً مهولاً، فقالت له: يا بني، لو لا أنت أعرفك صغيراً طيباً وكبيراً طيباً لظنت أنك أحدثت حدثاً موبقاً وأذنبت ذنباً مهلكاً لما أراك تصنع بنفسك. فقال لها: يا أماه، وما يدرني أن يكون الله عز وجل قد اطلع علىِّ، وأنا في بعض ذنبي فمقتني؟ وقال: اذهب فلن أغفر لك، ثم صرخ صرخة خر منها ميتاً .
رحمة الله عليه.

قصة عبد صغير آخر

وقال سفيان الثورى رحمه الله: تعبد شاب صغير من بنى تميم، فكان يحيى الليل كله بالصلاحة لا ينام. فقالت له أمه: يا بني، لو ثنت شيئاً. فقال لها: يا أماه، ما ثنت، إن ثنت ثنت اليوم ولا أيام غداً، وإن ثنت لم تئم اليوم لعلى أدرك النوم غداً مع المستريحين من عسر الحساب، والأمنين من خوف العذاب. فقالت له: والله يا بني ما أريد لك إلا راحة الآخرة، والتنجاة من شدائدها، والفوز بنعيمها، يا بني. راحة الآخرة أحب إلىَّ لك من راحة الدنيا، فدونك يا بني فالحال السهر لعلك تنجو من عسر ذلك اليوم، وما أخالك ناجياً. فصرخ الشاب صرخة خر ميتاً بين يديها، فاجتمع إليها نساء بنى تميم يعزونها فجعلت تقول: يا بنياه، واقتيل يوم القيمة.

عبد ليل

يروى عن أبي عمر بن حزاب الله قال: كنت في محرس من محارس الشام، فسمعت رجلاً ينشد هذه الأبيات بالليل:

(*) راجع: الصلاة والتهجد - مصدر سابق لابن الخراط.

لَوْ عِلِّمَ الْرَّاقِدُونَ مَا رَقَدُوا
يَأْيَهَا النَّائِمُونَ وَيَحْكُمُ
إِنْ كُنْتُمْ نُومًا فَإِنَّ لَهُ

قال: فقام الناس من كل جهة لما سمعوه يصلون ويتهجدون.

وقال سفيان بن عيينة: قدم علينا يوسف بن يعقوب - كان قاضياً لأهل اليمن فذكرناه أخبار الحكم بن أبيان فأثنى عليه خيراً وقال: كان يصلى بالليل، فإذا غلبه النعاس نزل في البحر، فقدع يسبح الله ويقول: أسبحه مع دواب البحر، وأذكره مع الذاكرين، وأسبحه مع المسبحين، سبحان المسبح بالسنة الأولين والآخرين من أهل السموات والأرض والخلائق أجمعين.

وكان عمران بن زيد قد عاهد الله تعالى ألا ينام بليل إلا مغلوباً، وكان يقول: حبيت إلى طاعة الله، فلو لا الركوع والسجود وقراءة القرآن ما أحبيت البقاء في الدنيا. فلم يزل مجاهداً حتى مات، فرأته ابنته في النوم، فقالت له: يا أبا: لا عهد لي بك منذ فارقنا فكيف حالك؟ قال: خير حال يا بنتي، قربنا في المزارل ومهدت لنا المضاجع ونحن هاهنا يغدى علينا ويراح برزقنا من الجنة. فقالت: وما الذي بلغكم هذا؟ قال: الصبر الصالح، وكثرة التلاوة للقرآن.

وكان حسان بن أبي سنان من المجتهدين المشمرين، كان ورعاً، كثير الصلاة، كثير الصيام، فتحل وسقمه حتى صار كهيئة الخيال، فلما مات وأدخل مغسله ليغسل، وكشف عنه الثوب فإذا هو كالخيط رقة ونحافة، فجعل أصحابه من حوله يبكون.

ويروى عن محمد بن عبد الواحد، وكان من الصالحين قال: ركبنا فأصابتنا أهواه، فالقتنا إلى جزيرة من جزائره فخرجنا إليها، فإذا رجل يعبد صنما من دون الله عز وجل، قلت له: من تعبد؟ فقال: هذا، وأواماً بيده إلى الصنم. قلت له: ما هذا إله، هذا لا شيء عندنا، في المركب من يعمل مثله وخيراً منه. قال: وأنتم من تعبدون؟ قلنا: نحن نعبد الله الملك الذي في السماء عرشه، وفي الأرض مشيتيه، وفي البر والبحر قدرته، وفي الموتى قضاوه، وفي الأجنحة في بطون أمهاطها

قال: وما علمكم بهذا الذى تقولون؟ قلنا: بعث إلينا رسولاً كريماً فأخبرنا بذلك قال: وما فعل ذلك الرسول؟ قلنا له: أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ثم قبضه الله إليه واختار له ما لديه. قال: فهل عندكم من علامة؟ قلنا: نعم؟ ترك عندنا كتاب الملك. قال: فأقرئوني كتاب هذا الملك، فإنه ينبغي لكلام هذا الملك، ينبغي في سلطانه وجلاله أن يكون حسناً.

فأتباه بالصحف فقال: لا أعرف هذا، لا أقرؤه. فقرأنا عليه منه فبكى، فلم نزل نقرأ عليه وهو يبكي فلما فرغنا قال: ينبغي لصاحب هذا الكتاب إلا يُعصي، ثم قال:أشهد أن لا إله إلا الله صاحب هذا الكتاب، وأشهد أن محمداً رسول الله الذي جاء به.

فعلمته شرائع الإسلام وسوراً من القرآن، وحملته معنا في المركب، فلما صلينا العشاء الآخرة ذهبنا ننام فقال: يا قوم: هذا الإله الذي دللتمني عليه أيام إذا جَنَّه الليل. فقلنا: هو عظيم شأنه عزت اسماؤه وجل جلاله.

فقال: بش العبيد أتتم إذ تنامون ومولاكم لا ينام، يريد إلا ينام أحد إلا مغلوباً، فأقبل على العبادة والاجتهد يصلى الليل والنهار فأعجبنا كلامه واجتهاده، فلما قدمنا عبادان قلت لأصحابي: هذا رجل قريب العهد بالإسلام، فجمعنا له دراهم وأعطيته إياها. فقال: ما هذا؟ قلنا له: تنفقها وتستعين بها على عبادة ربك.

فقال: لا إله إلا الله دللتمني على طريق لم تسلكوه أو سلكتموها ثم نسيتموها، أنا كنت في جزيرة من جزر البحرين أعبد صنماً من دونه فلم يضيعني وأنا لا أعرفه ولا أعبده، فكيف يضيعني اليوم وأنا أعرفه وأعبده؟!

فلما كان بعد أيام قيل لنا: أدركوه فإنه ملأبه، فأتته فوجدته في سكرات الموت، فقلت له: هل من حاجة؟ قال: قد قضى حاجتي الذي جاء بكم إلى الجزيرة حتى أخرجتمني - فيينا - أنا معه وهو يعالج سكرات الموت غلبتني عيني فرأيت في المنام روضة خضراء فيها قبة. وفي القبة سرير عليه جارية لم يرَ الرآؤون

مثلها، وهى تقول: سألتك بالله إلا ما عجلت به إلى، فقد اشتد شوقى إليه.
فاستيقظت مرعوباً، فنظرت إليه فإذا هو ميت فغسلناه وكفناه وواريناه التراب،
فلما كان من الليل رأيت فى النوم تلك الروضة، وفيها تلك القبة، وفيها ذلك
السرير، وعليه تلك البارية وهو إلى جنبها، وهو يكرر هذه الآية: «والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار».

هذا والحمد لله رب العالمين

المؤلف/ الداعية الإسلامى

محمد عبد الملك الزغبي

المنصورة

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- صحيح البخاري.
- ٣- صحيح مسلم بشرح النووي.
- ٤- سنن أبي داود.
- ٥- سنن الترمذى.
- ٦- مستند أحمد بن حنبل.
- ٧- سنن ابن ماجة.
- ٨- سنن النسائي.
- ٩- سنن الدارمى.
- ١٠- سنن ابن منصور.
- ١١- المستدرک للحاکم.
- ١٢- التوابین لابن قدامة.
- ١٣- الصلاة للخراط.
- ١٤- التذكرة للقرطبي.
- ١٥- التبصرة لابن الجوزى.
- ١٦- الموارد - لعبد العزيز السلمان.
- ١٧- المصباح.
- ١٨- الروض لشعيب الحرفيش.
- ١٩- حياة الصحابة للكاندهلوى.
- ٢٠- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بجميع عاطف الزين.

الفهرس

الصفحة

الموضوع

٣	المقدمة
٥	رهبان الليل
٨	اهتمام النبي وصحابته بقيام الليل
١١	صلوة الليل وما يقال فيها
١٧	كيفية قراءة القرآن في قيام الليل
١٩	إقامة حروف القرآن في إقامته
٢٠	تردد الآيات في القرآن
٢٢	القصد في الطاعة وقيام الليل
٢٥	لاتترك قيام الليل إلا لواجب عليك
٣١	بعض غاذج القائمين بالليل من الرعيل الأول
٣٧	أفراح الموحدين بلذة القيام بالليل
٤٩	من أخبار النساء العابدات في قيام الليل
٥٧	ارس الليل السخي
٥٩	العبد الصغير
٦٠	عبد الصنم الذي تحول إلى راهب ليل موحد
٦٣	المراجع
٦٤	الفهرس